عمّا في كلمات أبي غدّة من الأباطيل والافتراءات

بقلم

محمد ناصر الدين الألباني

الطبعــة الاولى ١٩٧٥ ــ ١٣٩٥

الطبعــة الثانية ١٩٧٨ ــ ١٣٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا ، ومن سيئات اعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالحق بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، فبلغ الرسالة ، وأدى الامانة ، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد فان من المصائب الكبرى في العصر الحاضر ان يضطر المسلم الطالب للعلم الى اضاعة كثير من وقته في الدفاع عن نفسه ، ورد التهم والاباطيل عن شخصه التي ألصقها به بعض الناس ممن لا يخشون الله ولا يستحيون من عباد الله ، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم : « ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى : اذا لم تستح

فاصنع ما شئت » . ومنه قول الشاعر :

اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا
وتستحي فما شئت فاصنع .
اذا كنت تأتي المرء تعظم حقه
ويجهل منك الحق فالصرم أوسع .

واذا كان من المعلوم ان من لا حياء له لا دواء له ، فلا تنفع فيه المعاتبة ، كان من المتبادر أن الاولى الانصراف عنه ، وتركه وشأنه كما قال الشاعر :

اذا رزق الفتى وجها وقاحا
تقلب في الأمور كما يشاء
ولم يك للدواء ولا لشيء
يعالجه به فيه غناء
فما لك في معاتبة الذي لا
حياء لوجهه الا العناء

بيد أنه لما كان السكوت عن مثله ، يعرض كثيرا من الابرياء للانزلاق من ورائه ، والتأثر بتهمه وأباطيله ، كان لا بد من الرد عليه ، والكشف عن افتراءاته ، (ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن بينة) . وفي ذلك فائدة اخرى تعود الى الباهت نفسه الا وهي : احتمال ان يعود الى رشده ، والتقليل من اوزاره ، من جراء تقليل عدد المتورطين المضللين به الذين سوف يحمل هو اوزارهم فوق اوزاره الخاصة به كما قال تعالى :

(وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ، وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) . وفي الآية الاخرى : (ليحملوا

أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون) .

ولعل في هذا تذكرة واقناعا للذين لا تروقهم مثل هذه الردود مطلقا ، ويتمنون انه لو صرفت مثل هذه الجهود الى نواح علمية مجردة عن المناقشة والاخذ والرد ، وغالبهم ليس عندهم الروح العلمية التي تساعد على تبين الحقيقة مما اختلف فيه الناس ، ثم على التمسك بها والدعوة اليها .

ونحن وان كنا مع هؤلاء فيما يتمنون ، فيجب ان يتذكروا ان كثيرا ما تجري الرياح بما لا يشتهي الملاح كما قال الشاعر :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وأيضا فانه ليس من صفات المؤمنين ان يسكتوا على البغي والظلم ، والبهت والكذب الذي يلصق بهم ، وهم يجدون وسيلة مشروعة لدفعه ورده عن صاحبه ، خلافا لما يعزى لسيدنا عيسى عليه السلام ويسميه النصارى بالآية الذهبية :

« من ضربك على خدك الأيمن ، فأدر له الخد الايسر . ومن طلب منك كساءك فأعطه رداءك،ومن طلب منك ان تمشي معه ميلا فامش معه ميلين » ! فليس في الاسلام شيء من هذا بل هو على اطلاقه يعارض القرآن الكريم في بيان بعض صفات عباد الرحمن المؤمنين التي منها ما أفادته الآية الكريمة: (والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فأجره على الله انه لا يحب

الظالمين . ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ، انما السبيل على الذين يظلمون النـاس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب أليم) .

فان لم يكن في كل ما تقدم مما يقنع اولئك النـاس ، فلا أقل من ان يعتبر ذلك عذرا لي ؛ فقد قيل : ليس مـمن العدل سرعة العذل . وقال الشاعر :

تأن ولا تعجـل بلومـك صاحبـا

لعل لـه عـذرا وأنت تلـوم .

بل لقد كان الواجب عليهم ان يعودوا على الجائر الظالم باللوم والانكار وردعه عن ظلمه ، وان ينتصروا للمظلوم لقوله عليه الصلاة والسلام : « انصر أخاك ظالما او مظلوما ، كيف انصره ظالما ؟ قال : تحجزه عن الظلم ، فان ذلـك نصره » . وفي حديث آخر : « لينصر الرجل أخاه ظالما او مظلوما : ان كان ظالما فلينهه فانه له نصرة ، وان كان مظلوما فلينصره » ، وقوله : « ما من أمرىء يخذل أمـرءا مسلما في موطن ينقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته ، الا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته ، وما من احد ينصر مسلما فـي موطن ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمتـه الا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته » (١) .

وعلى كل حال فمن المعلوم ان ارضاء الناس غايـة لا تدرك ، كما جاء في بعض الامثال :

ما قرعت عصا عـلى عصا ، الا حزن لهـا قوم ، وسر

---

١ ـ صحيح الجامع الصغير (٥٥٦٦) .

لها آخرون ، وقال الشاعر :

ولست بناج من مقالة طاعن
ولو كنت في غار على جبل وعر
ومن ذا الذي ينجو من الناس سالما
ولو غاب عنهم بين خافتي نسر

وإذا كان الامر كذلك فحسبي انني سألتزم في ردي هذا حدود الشرع فلا أقابل الباغي بشيء من البغي ، والباهت بشيء من البهت ، وانما سأصفه بما فيه كي يحذره الناس فلا يضلوا بضلاله ، ولا ينحرفوا بانحرافه عن كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، لا سيما من كان منهم حديث صلة به ، قد اغتر بمظهره ولا علم عنده بحقيقة أمره كما قال الشاعر :

لا يغرنك صديق ابدا
لك في المنظر حتى تخبره
كم صديق كنت منه في عمى
غرني منه زمانا منظره
كان يلقاني بوجه طلق
وكلام كاللالىء ينشره
فاذا فتشته عن غيبه
لم أجد ذاك لوجد يضمره
فدع الأخوان الا كل من
يضمر الود كما قد يظهره
فاذا فمزت بمن يجمع ذا
فاجعلنه لك ذخرا تذخره

وقديما قال العلماء :

القـــدح ليس بغيبـــة في ستـــة
متظلـــم ومعـــرف ومحـــذر
ومجاهر فسقـــا ومستفت ومـــن
طالب الاعانـــة في ازالـــة منكـــر

وخصلة واحدة من هذه الخصال كافية لتجويز مثـل هذا الرد ، فكيف ، وقد انضم اليها غيرها ، وبخاصة الاولى منها ، ودليلها قول الله تبارك وتعالى :

(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ليُّ الواجِد يحـــل عرضه وعقوبته » (١)

وقال الشاعر :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف في موضع الندى

أسأل الله تبارك وتعالى أن يعصمنا من الظلـم وغمص الناس بغير حق،وأن يجعل ما أكتبه دفاعا عن سنة النبـــي صلى الله عليه وسلم ونهج السلف الصالح ، انـــه سميـــع مجيب .

محمد ناصر الدين الالباني

---

١ ـ صحيح الجامع الصغير (٥٣٦٣) .
* المَطْل الغني

توطئــة

تعرفت على الشيخ عبد الفتاح « ابــو غدة » في بلــده (حلب) منذ اكثر من عشرين سنة تقريبا . وقد عرفت فيه رجلا متعصبا للمذهب الحنفي تعصبا أعمى في درس له فــي مسجده في حلب قرر فيه جواز التداوي بالخمــــر بارشاد طبيب حاذق مسلم . فقلت له : هذا لا يكفي بل لا بــد ان يكون عالما بالسنة . ففي السنة مثلا وصف الخمر بأنها داء وليست بدواء . فكيف يعقل لطبيب مسلم عالم بشرعــه ان يصف دواء وصفه نبيه صلى الله عليه وسلم بأنــــه داء ؟! فقال : لعل الحديث ضعيف لا يصح ! قلت : كيف وهو في « صحيح مسلم » (١) فقال : نراجع لنتأكد من ذلك . فقال له أحد الحاضرين وهو صديق للفريقين : فاذا تأكدت مــــن صحته أتأخذ به ام بالمذهب ؟ فقال : بالمذهب ! وتأكدت بعد من تعصبه الشديد مما كان يبلغني من حملاته في خطبــــــه ودروسه على السلفية والدعاة اليها ، ومن أجل ذلك كــان بعض اخواننا في حلب يسعى حثيثا لعقد اجتماعات بينـــي وبينه لمناقشته في تعصبه على السنة وشرح الدعوة لـــه . فكان لا يستجيب لاي اجتماع يدعى اليه ولو على الانفراد .

١ ـ كتاب الاشربة تحريم التداوي بالخمر (٨٩/٦ ـ استانبول) .

اللهم الا على طعام ! ولكنه لا يفسح المجال لاي بحث حـــول الدعوة السلفية بل يطعم ثم ينصرف ! وهو مع ذلك مستمر في الغمز واللمز والتشهير شأنه في ذلك كشأن غـــيره مـــن الخطباء الجهلاء الحاقدين .

ثم أخذت الايام والسنون تمضي ، فاذا بأبو غدة يعين مدرسا في كلية الشريعة في الرياض ، وفي العطلة الصيفيـــة كان يقضيها في لبنان ، ويتردد كثيرا على بيت ومكتبة أخينا الأستاذ زهير الشاويش ، وصديقه يومئذ ، فكنت التقـــي معه فيها أحيانا وهو مصر على موقفه السابق من الامتناع عن الدخول في أي نقاش او بحث على الرغم من توسط الاستاذ زهير ودفعه اياه لقبول البحث ، ولكن عبثا ، ولقد كان مـــن سياسة الاخ زهير وحكمته يومئذ معه انه كان يقدمه أحيانـــا ليصلي بنا ، ليريه عمليا ان ما يشيعه هو وأمثاله من التكفير باطل ، بدليل صلاتي خلفه ، مع ان صلاته مخالفة للسنـــة الصحيحة في كثير من أحكامها ! وكان يبدو عليه الاغتبـــاط بهذا التقديم ، فيتقدم دون اي تردد او اعتذار او تقديم منه لغيره ! كأنه لا يريد بالمقابل ان يثبت لنا انه يرى صحـــة صلاته خلف هذا الذي يصلي خلفه !!

وبينما كانت ظواهر الامور تدل على ان ابو غدة فـــي الآونة الاخيرة رجل مسالم الى حد انه يفر من الدخول فـــي مناقشة علمية هادئة ، بله مخاصمة مذهبية حامية ، قانـــع بتعصبه « لأمام الائمة ، ومقدم الامة ابي حنيفة رضي اللـــه عنـــه . . . » .

اذا به يكشف عن ان « تحت جلد الضأن قلب الأذؤب» وان « الطبع غلب التطبع » ! فقد عاد الى القيام بحملـــة

شديدة من التهويش والتشنيع علي في المملكة العربية السعودية موطن وظيفته ، ولبنان بلد مصيفه وذلك :

١ ـ ما اذاعه من الزور ، واشاعه من البهت هنا وهناك حتى بلغ مسامع بعض الطلاب المسلمين في اوربا ان الالباني يطعن في المذاهب الاربعة وبخاصة المذهب الحنفي في تعليقه على كتاب « مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري » ، وليس فيه سوى قولي : « ان عيسى عليه السلام يحكم بشرعنا ... » مما سيأتي شرحه مع الرد عليه ، فان ابو غدة لم يقنع باشاعة ذلك بلسانه ، حتى كتبه بقلمه (١) فهو بذلك كلابس ثوبي زور : وكان طبع المختصر سنة ١٣٨٨ .

٢ ـ افتراؤه علي تلويحا وتصريحا بأني من الشائنين المبغضين للامام ابي حنيفة رحمه الله تعالى ، واتهمني بالتعصب عليه رحمه الله وبالخيانة العلمية في ترجمته ، وذلك في تعليقه على كتاب « قواعد في علوم الحديث » للشيخ التهانوي ، وقد فرغ من التعليق عليه ـ كما صرح في خاتمته ـ في ربيع الآخر سنة ١٣٩٠ بالرياض ، اي قبل رفعه لتقريره الجائر ، او على الاقل قبل ردي عليه في « مقدمة شرح الطحاوية » بسنة (٢) .

---

١ ـ وذلك في « كلماته » ص ٣٩ ويأتي ذكرها قريبا .

٢ ـ يرى قارىء « التوضيح » ان الاستاذ زهير قد نقل كلام ابي غدة في الصفحة (٧) وصوره في الصفحة (١٧) ونصه : « فنبز ناصر الالباني في هذا ... » الخ . بينما الوجود في النسخ التي اطلعت عليها مزرعة ومجلدة من الكتاب « فنبز بعض الشائنين في هذا ... » الخ .

وسبب ذلك ان آبا غدة وزع كمية من كتابه ، ووصلت منه نسخة =

وقد رد عليه الاخ الفاضل الاستاذ زهير الشاويش في رسالة : « التوضيح » أحسن رد بما كشف عن أفترائـــه واتهامه المذكور بالنقل عن كتبي بما يشهد لابي حنيفة رحمه الله بما يستحق من علم وفضل ، وابان بذلك أن « أبو غدة » هو الذي خان الامانة العلمية حين نقل كلامي مبتورا .

فليراجع من شاء البيان رسالته المذكورة وهي مطبوعة لوحدها ومع شرح العقيدة الطحاوية الطبعة الرابعة .

= للاخ الاستاذ زهير الشاويش ، من هـذه النسخ . وكتب « التوضيح » ونقل ، وصور ، ونشر ...

ولما اطلع بعض الذين يتحرك آبو غدة بأمرهم على كلام ابي غـــــدة افهموه بأن هذا التصريح باتهام الالباني يعرضك للملاحقة القانونيـة لـدى المحاكم الجزائية ، ويحكم عليك بجرم الافتـراء ؟! فخاف ابـو غـدة وعمـد الى نزع الصفحات (٣٠٥) و (٣٠٦) و (٣٠٧) و (٣٠٨) وما يقابلهـا وهي الصفحات (٣١٧) و (٣١٨) و (٣١٩) و (٣٢٠) واعاد طباعتهـــا بعد حذف اسمي ، ووضع مكانها (بعض الشانئين ..) غافلا عن التعليق الذي بقي مطبوعا وهو « (١) في « سلسلـة الاحاديث الضعيفة والموضوعة » ٥ : ٧٦ » .

وكل من يملك نسخة من كتاب « القواعد » يستطيع التأكد من ذلك اذا قابل ورق هذه الصفحات مع باقي ورق الكتاب ، وكذلـك اذا نظـر كثـرة الثقوب في خياطة الكتاب من جراء فك الخياطة السابقة واعادة تخييطـــه وجمعه وتجليده من جديد !!

ومما يؤكد هذا سكوت « ابو غدة » المطبق عن اثارتها في « كلماتـه » ولو تمكن من جمع كل النسخ السابقة ، لما تأخر عن اتهام صاحب«التوضيح» بشتى التهم كما هي عادة أبي غدة !!

٣ ـ تقريره الجائر الذي رفعه الى بعض المسؤولين في المملكة العربية السعودية سنة ١٣٩١ او قبلها بقليل ، ـ ولغير المسؤولين أيضا ـ حول تخريجي لـ « شرح العقيدة الطحاوية » ، وذلك بعد اطلاعه هو عليه بنحو عشر سنوات ، دون ان يحدثني مطلقا بشيء مما في نفسه من النقد عليه ، ونحن نلتقي معه في هذه السنوات عند أخينا الاستاذ زهير الشاويش ، او على الاقل أن يحدثه هو بذلك !! وهو صاحب المكتب الاسلامي والناشر للكتاب (١) .

كل هذه الامور وغيرها مما كان يبلغني عنه جعلني اتيقن أننا قد ابتلينا بعدو ماكر ، يظهر خلاف ما يبطن ، وانه لا بد من كتابة رد عليه ، يكشف عن جهله فيما أخذه علي في « تقريره الجائر » وعما ضمنه من الكذب والزور وقلب الحقائق وغير ذلك من الصفات التي لا تليق بمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر ، فكتبت الرد وجعلته مقدمة للطبعة الرابعة لشرح العقيدة الطحاوية ، ليكون القراء الكرام على علم بالرد على مآخذ ابي غدة عن كثب ، ومعرفة بعدائه الشديد لهذه العقيدة المتستر بنقد مخرجها ، والمتظاهر بتعظيم شارحها !

وبعد صدور هذه الطبعة اواخر سنة ١٣٩١ هـ حججت الى بيت الله الحرام ، فزرت الاستاذ الفاضل الدكتور محمد امين المصري في بيته في مكة المكرمة ، فحدثني بأن الشيخ ابو غدة عنده في غرفة اخرى مع بعض الاساتذة الحلبيين ، فقلت له : هل لك ان تتفضل فتعرض عليه رغبتي بلقائه ومناقشته حول ما جاء في « تقريره » ؟ فوافق

---

١ ـ انظر تقرير ابي غدة كاملا في « التوضيح » .

مسرورا ، ولكنه سرعان ما رجع آسفا لان ابو غـــدة رفض اللقاء على الرغم من استحسان الاساتذة لعرضي هذا كمـا حدثني به الدكتور المصري ، وهو من اوثق الناس عندي .

بدء الرد على كلمات « ابو غدة » وأباطيله

وبعد ثلاث سنين تقريبا مـن طبع الـرد عـلى التقرير الجائر طلع علينا الشيخ ابو غدة برسالته : « كلمات فـي كشف اباطيل وافتراءات » ذكر في آخرها انه فـرغ منها في ١٣٩٤/٤/١٢ بمدينة الرياض . وبعـد الفراغ مـن قراءتها تبين لي انها رد على جماعة ممن ردوا عليه وكشفوا للنـاس عن جهله بالسنة وعدائه الشديد لاهلها ولائمتها ، وفـي مقدمتهم شيخ الاسلام ابن تيمية ، وتلميذه العلامـة ابن قيم الجوزية ، وداعية التوحيد الشيخ محمد بـن عبـد الوهاب رحمهم الله تعالى ، الذين يعاديهم ابو غدة اشد العداء تبعا لشيخه الكوثري الضال المضل ، والذي هو من آثاره !! وانه ليس فيها شيء من العلم مطلقا ، بل هي اكاذيب واباطيـل حقا ، ومن ذلك انه افهم القراء ان هناك جماعة من المؤلفين يعملون ضده متعاونين متواطئين « مـن اصحاب الاغـراض السيئة والطوايا المنحرفة الكائدة ... » بزعمه وهذا كذب محض ، ولبيان ذلك اقول :

ان الكتب او الرسائل التي يرد ابو غدة على بعض مـا جاء فيها ويوهم القراء ان الجماعة تعاونوا عـلى تأليفهـا ونشرها هي :

١ ـ كتاب «التصوف بين الحق والخلق» للاستاذ محمد فهر الشقفة الطبعة الثانية مزيدة ومحققة ، ومن المعلوم ان الذي قام على نشره والتعليق عليه انما هو الاستاذ محمـود استانبولي .

٢ ـ « السيف المصقول العبقري على اباطيل تلميذ الكوثري » وهو للاستاذ عبد العزيز الربيعان المدرس في المعهد الثانوي في الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة والذي كان في كلية الشريعة بالرياض يوم ان كان ابو غدة مدرسا فيها ودعاه للمناظرة معه ورفض .

٣ ـ مقالة نشرت في جريدة الدعوة عدد ٣٢٣ .

٤ ـ مقدمتي على « شرح العقيدة الطحاوية » .

٥ ـ « المقابلة بين الهدى والضلال » بقلم الشيخ عبد الرزاق حمزة رحمه الله ، وتحقيق عبد الله بن صالح المدني الفقيه .

٦ ـ « التوضيح » للمقدمة المذكورة للاستاذ زهير الشاويش ولم يفصح ابو غدة عن اسمها ولعل السبب لان المؤلف صديق ابي غدة القديم !

٧ ـ « حجة النبي صلى الله عليه وسلم » تأليفي .

٨ ـ تعليقي على « مختصر مسلم » للمنذري .

٩ ـ « حجاب المراة المسلمة » تأليفي .

١٠ ـ « بدعة التعصب المذهبي » للاخ الاستاذ محمد عيد عباسي .

فترى ابا غدة اذا رد على جملة ما في كتاب من هذه الكتب عزاها الى جميع هؤلاء المؤلفين حتى الذي كتبه الشيخ عبد الرزاق رحمه الله موهما انهم كتبوا ذلك متواطئين متعاونين ! مع انني لم اشارك مطلقا في تأليف شيء منها حتى ولا في « التوضيح » فكيف في كتاب الشيخ عبد الرزاق رحمه الله ؟!

وبالتالي لم يشاركني أحد منهم في تأليف من تأليفاتي المذكورة ، وابو غدة على علم بذلك .

. ومع ذلك فهو ينسب اليهم جميعا كل عبارة يرد عليها ، فهو يقول في الكتاب الاول ص (٥) :

« طبعوه في دمشق في سنة ١٣٩٠ ودسوا فيه زورا وبهتانا كلاما حولي ... » والحقيقة ان الذي طبعه انما هو الاستاذ محمود استانبولي ، والدس المزعوم ان ثبت فلا علاقة لنا به مطلقا ، لا سيما واسلوبي في الكتابة يختلف عن اسلوبه كما هو معلوم لدى الجميع ...

تزوير على لسان الاستاذ الشقفة

ثم قال ابو غدة : « فما ان علم مؤلفه بذلك الدس حتى استشاط غضبه عليهم وغيظه منهم وبعث الي برسالة منه بخطه يعبر ... ويستنكر ما فعلوه من تزوير عليه ... بما اقترفوه من الاكاذيب ... » الخ .

أقول فمن السهل على كل قارىء ان يكتشف هذا العزو الباطل الكاذب من ابي غدة الى الجماعة وذلك بأن يرجع الى نص كتاب الأستاذ فهر المصور من خطه بآخر كلمات « ابي غدة » لترى فيه ما يكذبه فقد جاء فيه :

« وقد كان هذا الامر تزيدا من الناشر محمود مهدي استانبولي دون علم مني ... فتوسمت فيه خيرا عندما عرض علي اخراج كتابي ... فاستغل الناشر هذا التفويض ... وقد أنذرت الناشر » .

ونحو ذلك في كتاب الاستاذ فهر الآخر المنشور صورته عقب الكتاب الاول . ومن ذلك يتبين ان ابا غدة لم يكذب على الجماعة فقط بنسبة الدس المزعوم اليهم جميعا ، لا الى الناشر وحده كما هو صريح كلام الاستاذ فهر . بل وكذب أيضا على الأستاذ نفسه في قوله السابق : « فما علم مؤلفه

بذلك الدس حتى استشاط غضبه عليهم ... وما أظن الا ان الاستاذ فهرا قد استشاط غضبه فعلا على ابي غدة لهذا العزو الباطل اليه ! ولم يكتف أبو غدة بما سبق من الكذب بل أكده بقوله (ص ٦) :

« وقد اذعنوا لطلب المؤلف ، ووضعوا على الكتاب المذكور .. » والله يشهد انه لا علم لنا بالوضع المذكور ولا بالاذعان المفترى الا حينما قرأنا عبارة ابي غدة هذه ، أفلا يحق لنا ان نقول : الا ...

وكذلك قال فيما جاء في سائر الكتب المذكورة سابقا : « نقلوا » و « قالوا » ونحو ذلك مما هو مخالف للواقع ويأتي ذكر امثلة منه . فالناقل والقائل انما هو المؤلف فما بال الآخرين وفيهم من انتقل الى رحمة الله ، وهذا لا علم له بما جد بعده من خصام بين أهل السنة امثاله وبين اهل الاهواء والبدع امثال تلميذ الكوثري ، ولا علم للاخرين بما الف هو رحمه الله وبالطبع ايضا بعد انتشار كتابه ! فما أشد غفلة أبي غدة ، بل وما أكذبه !

من أجل ذلك كله رأيت ان احصر ردي على « ابي غدة » فيما نالني من بغيه وظلمه وافترائه ، تاركا للآخرين ان يردوا عليه ان شاؤا لكي لا يطول الرد هذا فأهل الدار أدرى بما فيها ، والله عز وجل يقول : « ام لم ينبأ بما في صحف موسى ، وابراهيم الذي وفي ، الا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى » فأقول وبالله وحده أستعين :

أولا ــ من غرائب أبي غدة انه لما تعرض للرد علي فيما قلته فيه بحق في مقدمة شرح الطحاوية « ردا على

تقريره الجائر » لم يزد على ان عدد الالفاظ التي وصفناه بها فيها ـ بحق ـ فقال (ص ١٠) :

« فقد حشوها بالالفاظ التالية : « بالتعصب ، وتعمد الكذب ، ووو ... والجهل ووو والتقليد ... والنفاق ... وبأني حنفي ... وبذم الشيوخ الاحناف وبأنهم على درجة بالغة من التعصب وانهم يضمرون العداء الشديد لاهل الحديث ... » اقول ووجه الغرابة انه حكى هذه الألفاظ التي وصفته بها دون ان يرد عليها بالحجة والبرهان مكتفيا بقوله بأنها « افتراء صريح » . مع العلم بأن هذه الالفاظ جاءت في تضاعيف ردي اليه ، البالغ عدد صفحاته « ٤٤ » صفحة . فهذه الالفاظ التي سردها لا تبلغ صفحة واحدة منها فأين الرد على سائر الصفحات التي أدنته فيها بذلك كله ، فهل يشك عاقل منصف حين يرى ابا غدة لم يكتب كلمة واحدة في الرد عليها . ليثبت بذلك براءته منها ـ انه لو وجد سبيلا الى ذلك لما اكتفى بما أشرنا اليه من اقواله . ولا بأس من اعادة خلاصة ما كان أخذ علي وغمزني به في تقريره الجائر وردي عليه وما أدنته به في المقدمة .

خلاصة ما اخذه علي ابو غدة ، وردي عليه وما ادنته به في « المقدمة » .

١ ـ كان اتهمني بأن قولي في التخريج « صحيح أخرجه مسلم » أو « صحيح متفق عليه » انما جاءت الصحة من حكمي له بالصحة وليس من حكم الامام مسلم او الشيخين ، وما قلت فيه « رواه مسلم » او « متفق عليه » ولم أصدره بقولي « صحيح » فمعنى ذلك عنده انني متوقف فيه تحت المراجعة ! وقال : فجاء بشيء لم يسبقه اليه المتقدمون والمتأخرون ، فقلت له :

هذا تخرص واختلاق ... وفصلت القول في ذلك في اربع صفحات من المقدمة « ١٧ ـ ٢٠ » وبينت أنني كنت صرحت في مقدمة الطبعة الثالثة عن هدفي من هذا الاصطلاح ، واني مسبوق الى هذا الاستعمال من الحافظ البغوي في « شرح السنة » ، فأثبت بذلك تخرصه وجهله فبماذا أجاب عنه ؟ انه بدل ان يعترف بجهله واتهامه لأخيه المسلم بما ليس فيه ـ وهو على علم به ـ أصر على ذلك ولم يتراجع ، بل لجأ الى التعالي والتمسك في رده بأنه بريء مظلوم امام القراء الذين لا يعلم اكثرهم ما اجترحته يداه . فهل هذا هو صفة من يقول في أول رسالته: « وبعد فان الله تعالى شرع لنا هذا الدين الحنيف ليكون حاجزا للمؤمن به عن كل شر وسوء ، وداعيا الى القيام بكل خير وفضيلة ، وليتحقق المنتسب اليه بالخلق القويم والسلوك المستقيم فلا يقول الا حقا ... » الخ كلامه الذي يذكر آخره بالمثل السائر « رمتني بدائها وانسلت » لانه يتهمنا فيه بالاكاذيب والاختلاقات وهو مصدرها ومنبعها وهذا هو المثال الاول امامك .

فهل هذا الاصرار على الأتهام والتجاهل هو من الخلق القويم عند ابي غدة وهو يعلم قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

٢ ـ كما انتقدني على قولي في اثر ابن مسعود : « هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف والمنكر » : « لا أعرفه» فقال عقبه ما نصه بالحرف الواحد : « فهل المراد من هذا انه لا يعرف المعروف من المنكر (!) أو لا يعرف كلام عبد الله بن مسعود » .

فرددت عليه في خمس صفحات (٢١ ـ ٢٦) وبينت اصطلاح العلماء في هذه الكلمة « لا أعرفه » مما نقله ابو غدة في مقدمة له على بعض مطبوعاته ، فنسبته من أجل ذلك الى التجاهل ، والى الجهل ايضا وانه لا علاقة لقوله المذكور بهذا الاصطلاح الذي تبعت فيه المحدثين ، وانه انما قال ذلك ليروي غيظ قلبه ، ويظهر للناس كمين حقده، وعظيم حسده بسوء لفظه حتى لا يدري ما يخرج من فمه نسأل الله العافية .

فلم يرد ابو غدة أيضا على هذا بشيء مطلقا سوى زعمه انني رميته (وهو يقول تلبيسا على القراء رمونـي !) بالجهل والتجاهل ! ان كنت يا ابا غدة صادقا في هذا القول فهلا بينت علاقة قولك « فهل المراد من هذا انه لا يعرف المعروف من المنكر » بقولي : « لا أعرفه » واثبت بذلك انك غير جاهل ولا متجاهل وانت القائل في كلماتك « وسلوكي مكشوف وخلقي معروف ، والحمد لله » ؟! نعم سلوكك مكشوف وخلقك معروف ، والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه .

٣ و ٤ ـ كان سجل علي وهمين صرح بأحدهما وهو في ذلك مصيب ، ولكنه دلس في صدد بيانه تدليسا خبيثا مع قلبه لبعض الحقائق كما بينته (ص ٢٩ ـ ٣٠) ، فلزمه ما ادنته من التدليس وقلب الحقائق ، لانه لم يأت ولو بكلمة واحدة يبين براءته منه ، سوى قوله فيه وفي أمثاله : افتراء صريح !!

والوهم الآخر كان اشار اليه ، ولم يصرح به وهو انني كنت وهمت الشارح رحمه الله في عزوه حديثا لـ « الصحيح » وليس فيه، فحكى ابو غدة كلامي في ذلك ولم يزد وغرضه من ذلك ايهام القراء انني واهم في توهيمي

للشارح ، والواقع ان لا وهم ، وكان يرمي من وراء التسجيل المذكور اسقاط ثقة القراء من أهل العلم والفضل بتخريج الالباني !! ليتخذ ذلك ذريعة لصرف الناس عن الكتاب نفسه « شرح العقيدة » فرددت عليه في عدة صفحات بما خلاصته : انه لا يلزم من خطأ الثقة في حديث واحد او اكثر ان ترفع الثقة عنه مطلقا ، ودعمت ذلك بما كان المتعصب الجائر نفسه نقله في بعض تعليقاته . والزمته ان يسقط هو الثقة عن شارح الطحاوية . لاخطاء حقيقية غير قليلة ، بينتها في تخريجي عليه ثم لخصتها في « المقدمة » فألزمته بذلك أحد امرين : الاول أن خطأ الألباني في حديث او اكثر لا يسقط الثقة عنه . والآخر : أن ذلك ان كان يسقط الثقة عنه ، فأخطاء الشارح اكثر ، فهو باسقاط الثقة عنه اولى عند ابي غدة وأظهر .

فسكت عن ذلك ايضا فلزمه ما الزمته به كما هو ظاهر لا سيما وقد كنت رجوته ان يبين لي اذا كنت مخطئا في ذلك عنده ، فلم يفعل ، فمن يقول ، بعد هذا انه « لا يلعب على الحبلين » ؟!

٥ ــ كان غمزني في قولي في حديث رواه البخاري : « وفي سنده ضعف ، ولكن له طرق لعله يتقوى بها . . . » فرددت عليه من وجهين : خلاصة الاول منهما انني مسبوق الى تضعيف اسناده من قبل كبار الائمة كالذهبي وابن رجب الحنبلي والحافظ العسقلاني ، وانني تحفظت في تضعيف متنه ، بل رجوت ان يتقوى بكثرة طرقه . ثم تأكدت من ذلك كما بينه في « الصحيحة » (١٦٤٠) .

وخلاصة الوجه الآخر انني الزمته بأن الغمز والطعن بشيخه الكوثري اولى لانه نقل الطعن في حديث البخاري

المذكور آنفا واقـــره ، دون ان يتحفظ تحفظـــي المذكور ! ثم أتبعته بذكر اربعة عشر حديثا صحيحا مما أخرجـه البخاري ومسلم او احدهما ضعفها كلها شيخه الكوثري « العلامـة المحقق الحجة الامام .. » كما يزعم تلميذه ابو غدة وبحديث آخر مما رواه مسلم ضعفه المتعصب الجائر نفسه ! (انظـر (ص ٣٠ ـ ٣٤) من المقدمة) ، وبسكوته عـلى قول الشيخ التهانوي في كتابـه « مقدمـــة اعـلاء السنن » تحت عنوان « ذكر بعض المغامز في الصحيحين وتكلف الجواب عنهـا » : « وما يقوله الناس ان من روى له الشيخان فقـد جـاوز القنطرة هذا من التجوه (اي التكلف) ولا يقوى » .

سكت على هذا ابو غدة في تعليقه على الكتاب (٤٦٣). وعلى ما سبق من الامثلة مما كتبه هو نفسه او قرأه لشيخه، ويطعن في لحديث واحد للبخاري ضعفت اسناده دون متنه ، ثم هو يتغافل عن ذلك كله ليقول شاكيا في « كلماته » اننـا رميناه بـ « ... واللعب على الحبلين » وفاته ان يذكر اننا قلنا في مثل صنيعه هذا انه من بـاب الـوزن بميزانين ، والكيل بكيلين ، أو من قبيل الجمع بين الصيف والشتاء على سطح واحد ! فمن الذي ينكر انطباق هذه الاوصاف كلهـا على ابي غدة بعد اطلاعه على هذه الحقائق . لو ان المتعصب الجائر كان صادقا في شكواه تلك لاجاب جوابا علميا عن كل هذه الالزامات التي الزمناه بها . ولم يكتف بالرد على ذلـك كله بقوله : « افتراء صريح » ونحو ذلك من الاقوال التـي لا يعجز عنها أجهل الناس واشدهم ايغالا في الباطل والمكابـرة على حد قولهم : عنزة ولو طارت .

ثانيا : ـ أليس هذا نفاقا مكشوفا ؟

كنت ذكرت في المقدمة ان لدي البرهان القاطع على مـا نسبت الى ابي غدة من المداراة ولم أقل المداهنة .

وهكذا قلت يومئذ متحفظا ومتأنيا حتى نرى جواب ابي غدة على ما ادعيته برهانا قاطعا ، ثم نقلت عنه قوله في تقريره الجائر في شارح الطحاوية :

« انه من التوثق و . . . بامامة ملموسة مشهورة » .

ولعلمي بأن أبا غدة حنفي متعصب، والأحناف ماتريدية، والشارح يرد عليهم في مواطن كثيرة ، خاصة في صفة الكلام الالهي ، بدا لي ان ابا غدة يقول فيه ما لا يعتقد لفرض شرحته هناك ولذلك اتبعت قوله المذكور بقولي :

« قلت : فاذا كان ابو غدة مؤمنا حقا بهذه الأمامة الملموسة المشهورة فأنا اختار له من كلام هذا الامام سبع مسائل ، فان اجاب عنها بما يوافق ما ذهب اليه هذا الامام المشهور من قلب مخلص فذلك ما نرجوه ، وأعتذر اليه من اساءة الظن به ، وان كانت الاخرى فذلك مما يؤيد — مع الاسف — ما رميته به من المداراة » .

ثم سردت المسائل السبع مع شيء من التعليق عليها وبيان موقف شيخه الكوثري ضدها وهي :

الاولى : وأهل الكلام المذموم يطلقون نفي حلول الحوادث .

الثانية : وان القرآن من كلام الله ، منه بدا بلا كيفية قولا ، وانزله على رسوله وحيا ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا ، وايقنوا ان كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية . (١)

الثالثة : وهو تعالى مستغن عن العرش وما دونه ، محيط بكل شيء وفوقه .

---

١ — وقع في « مقدمة الشرح » : « كلام البشرية » ، وهو خطأ مطبعي .

الرابعة : يثبت الامام السؤال عن الفوقية بلفظ أين الله الذي سأل به رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارية ليتعرف على ايمانها . وقلت له هناك :

وشيخك يا أبا غدة ينكر مثل هذا السؤال تبعا لتشكيكه في صحة الحديث كما سبق (ص ٢٢) . فهل تؤمن انت بهذا الحديث وتجيز هذا السؤال الذي سأله الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

الخامسة : يقول الامام تبعا للائمة الثلاثة وغيرهم : ان الايمان هو تصديق بالجنان ، واقرار باللسان ، وعمل بالاركان ، وقالوا : يزيد وينقص .

السادسة : ذهب الامام الى جواز الاستثناء في الايمان وهو قول المؤمن : انا مؤمن ان شاء الله تعالى خلافا للحنفية . بل ان طائفة منهم ذهبوا الى تكفير من قال ذلك .

السابعة : ذهب الامام تبعا لامامه ابي حنيفة وصاحبيه الى كراهة التوسل بحق الأنبياء وجاههم .

ثم قلت عقبها :

« قلت : فهذه سبع مسائل هامة ، كلها في العقيدة الا الاخيرة منها ، قد وجهتها الى ابي غدة الذي تظاهر بالثناء على شارح الطحاوية ووصفه بأنه صاحب « امامة ملموسة مشهورة » فاذا أجاب بمتابعته له فيها ، وهذا ما استبعده على كوثريته ــ فالحمد لله ، وان خالفه فيها وظل على كوثريته فقد تبين للناس ــ ان شاء الله تعالى ــ ان ثناءه على شارح الطحاوية (الامام) لم يكن عن اعتقاد وثقة به كما زعم ، وانما ليتخذه سلما للطعن بمخرج احاديثه ، والا كيف ساغ له ان يسكت عن الشارح في هذه الاخطاء بل الضلالات

السبع بزعمه تبعا للكوثري وعن اخطائه الاخرى الحديثية التي سبقت الأشارة الى انواع منها ، وينتقدني شاكيا الى بعض رؤسائه او المسؤولين هناك وغيرهم — في أمور — لو صح نقده فيها — لا تكاد تذكر تجاه تلك كما ولا كيفا ؟! » .

فماذا كان جواب المتعصب الجائر عن هذه الاسئلة السبع ؟! ان القارىء الكريم ليعجب اذا قلت : انه أعرض عن الاجابة عنها مطلقا ، وصمت تجاهها صموت أهل الكهف، فلا هو صرح بأنه متابع فيها لصاحب « الامامة الملموسة المشهورة » ولا انه لا يزال على كوثريته فيها ، فمن يقول بعد هذا ان هذا ليس نفاقا مكشوفا أو انه لا يزال كوثريا كما وصفه به بعض زملائه في التتلمذ على الكوثري فيما نقلته عنه (ص ٤٦ من المقدمة) وقد اقر هو ذلك ولم ينكره في « كلماته » ، بل اكده بقوله فيها (ص ٣٨) :

« هم يعلمون من نحو ٢٥ سنة اني تلميذ الكوثري ، فما معنى اني صرت تلميذه الآن » .

واقول : وهذه كذبة من كذباته التي لا تتناهى فمن قال ممن اشرت اليهم ووصفتهم بالعلم انك صرت تلميذه الآن ؟ وانما الحقيقة انك انكشفت للناس الذين لا يعرفونك من قبل تعليقاتك التي سودتها بالنقل عن شيخك الكوثري ومبالغتك في الثناء عليه مع عدائه الشديد للحديث واهله ، ودفعتنا دفعا بذلك — وبتشنيعك علينا في حملاتك المسعورة لاقل هفوة تظنها ، وخاصة في تقريرك الجائر الذي تضع فيه شخصا وترفع آخر — مع اشتراكهما في الخطأ — على الرد عليك وكشف النقاب عن هويتك وبيان ما انت فيه من الصفات التي لخصتها أنت في (كلماتك) (ص ١٠) وكنت متحفظا في

بعضها لما يوجبه الشرع علينا من التبين والتثبت واما الآن فقد تجات الحقيقة لكل ذي عينين .

وان مما يؤكد بقاءه على كوثريته ، وايثاره تقليده على تقليد امامه ابي حنيفة وصاحبيه رحمهم الله في كثير من المسائل ، منها ان للكوثري رسالة بعنوان « محقق التقول في مسألة التوسل » ذهب فيها الى جوازه وسلك فيه مسلك الاجتهاد المطلق واستدل بأحاديث بعضها صحيح لا يدل عليه ، وبعضها ضعيف حاول تقويته بتقوية من هو ضعيف من الرواة اتباعا لهواه ، مخالفا بذلك تصريحه هو نفسه بضعفه في حديث آخر كما بينت بعض ذلك في آول كتابي «سلسلة الاحاديث الضعيفة» ومن اتباعهلهواه ومتابعتهللعامة لم يتعرض فيها بذكر لاقوال ائمته الثلاثة لانها تمحق رسالته من اصلها محقا (١) فتجد ابا غدة يقلده في هذه المسألة ، مع مخالفته لائمته الثلاثة في خطبة خطبها في مسجده في حلب ، وطبعا كان ذلك قبل توظفه في السعودية ، وقد حصلت على شريط مسجل لخطبته ، فيها التصريح ببعض افكاره وعقائده التي يخالف فيها عقيدة السلف الصالح ومن تبعهم باحسان كشيخ الاسلام ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهما ، مثل اعتقاده ان الشرك انما هو شرك الربوبية فقط فيجوز عنده التوسل بالنبي والولي الى الله دون ان يناديه ويطلب منه ، ولئن طلب خطأ فهذا المنادي لا يعتقد فيه انه يحل ويربط ويعطي ويمنع ، ويخفض ويرفع ويتصرف في مقدرآت الله عز وجل !! وعلى ذلك فالاستغاثة بالميت من دون الله تعالى ليست شركا عنده لان المستغيث لا يعتقد ان

---

١ - راجع للرد عليها وعلى غيرها من رسائل المخالفين رسالتنا السابعة من رسائل الدعوة السلفية وهي بعنوان « التوسل انواعه واحكامه » .

الميت يضر وينفع وانما هو خطأ لفظي فقط ! ومع ذلـــك لا يخجل الشيخ أبو غدة ان يصرح في كلماته (ص ٣٦) بأنـــه يدين الله تعالى بعقيدة السلف رضي الله عنهم ، وانه يقول بتقسيم التوحيد الى توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية! وفاته القسم الثالث ، وهو توحيد الصفات ، ولعله عمداً تركه. لان الخلف وهو منهم لا يعرفون هذا النوع من التوحيد ، ولـو عرفوه لما نفوا كثيراً من صفاته تعالى باسم التأويل كنفيهـم استعلاءه على خلقه .

خطبة لابي غدة في الطعن في السلفيين

ولا بد بهذه المناسبة من ان اسوق بعض خطبة الشيخ ابي غدة محررا من شريط مسجل محفوظ عندي ومن شك فيه اسمعته أياه بصوته وحرارته فيها ليتبين للقارىء مبلـغ عدائه لاهل التوحيد والدعاة للسنة وحقده عليهم وبغضـه لهم ، واتهامه اياهم بشتى التهم عـلى طريقة شيخه الكوثري في ذلك بل واسوأ منه . فهو في ذلك نسيج وحده !

اتهامه للسلفيين بتجهيل الائمة وتصغير شأن العلماء والاجتهاد

قال بعد توطئة وجيزة في فضل الائمـة المجتهديـن وتمسكهم بالسنة :

« نقول هذا لبيان ما يكون من بعض النـاس ، مـن تجهيل الائمة ، وتصغير شأن العلمـاء ، وتسفيـه بعض آرائهم ظنا منهم انهم على صواب ، وانهم اذا كانـوا قـد شموا رائحة العلم فانهم على يقين مما يعلمون وانهم فـي قدرتهم ان يخطئوا العلماء ويجهلوا الائمة ، ويصغروا شأن الاجتهاد ، ويهونوه على الناس حتى عـلى ابسط الناس ،

ولو كان محترفا لا يدري حرفته بل لا يجيدها ! يمكنه ان يقول : هذا حلال وهذا حرام بمجرد رأيه او بمجرد انه حفظ حديثا او حديثين ، فهذا خطأ بين وانحراف عن الجادة . فالاجتهاد في هذه الامة ما يحرزه فحول الناس ولا اذكياؤهم الا اذا احرزوا آلات الاجتهاد ، هذه الآلات التي تكون مقدمة لتحصيل الاجتهاد (هنا محو من الشريط نحو سطر) من القرآن الكريم والحديث الشريف ومنها معرفة منافسات (كذا) العرب واساليبهم ، ومنها ايضا فهم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على قواعد الاسلام الحنيف ، كما فهمه الصحابة رضوان الله عليهم ، اما من كان لديه شيء من المعرفة ، وظن انه يستطيع ان يتسلق قمة الاجتهاد ، فهذا انسان نائم ، رأى نفسه انه نائم ايضا (!) ومشى يجتهد في منامه الذي رآه في نومه (!) فهو على ضعف وخطأ ما يدري قدره . لان الاجتهاد يحتاج الى ثقة بالغة من الفهم ، ومعرفة تامة بالعلم وبآثار الفقهاء واقوالهم ، واجتهاد اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وافعالهم ، واقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الله عز وجل ، وما الى ذلك من وسائل العلم التي قررها العلماء في موضعها .

عودة الى اتهامهم بتصغير شأن العلماء والرمي باجتهاداتهم الى الارض ، وبالغرور والجهل

فلذلك يخطىء من خطأ العلماء او صغر شأنهم . او زعم انه يستطيع ان يتسلط على هؤلاء الائمة فيرمي باجتهاداتهم واحدا واحدا الى الارض . هذا منشؤه من الغرور والنقص في العلم ، والجهل بقدر العلماء ايضا ، وذلك ان اولئك الناس جهلوا اشياء كثيرة ، فوقعوا في اخطاء كثيرة .

اتهامه اياهم بتصغير شأن النبي صلى الله عليه وسلم وانكـار معجزاتـه !!

من جملة هذه الاخطاء انهم يصغروا (كذا) شأن النبي صلى الله عليه وسلم فيجعلوه (كذا) احد الناس بعد مماته وحين حياته ، لا يتميز عن احد من البشر ، وهو كذلـك الا فيما اكرمه الله عز وجل ، وقد اكرم الله عز وجـل رسوله صلى الله عليه وسلم كرامات واي كرامات ، فالنبي عليـه الصلاة والسلام حي بعد مماته الذي انتقل به من الدنيا في قبره ، فان الأنبياء احياء في قبورهم ، فالذي يزعم ان الانبياء موتى كحال موتى الناس : هذا انسان ما يفرق بين الحـي والميت ، ولا النبي ولا المتنبي ، فحقه ان يعيد دراسته مـن الفها الى يائها ، لان رسول الله صلى الله عليه وسلم دلنـا ان الشهداء احياء في قبورهم (!) وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الشهداء منزلة وتكرمة ومقاما وتعظيما. فلذلك فتصغير شأن الرسول عليه الصلاة والسلام بدعـوى تنزيه العقيدة خطأ وانحراف .

ونشاهد من اولئك الناس انهم ما يذكرون من كرامات النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته الشريفة ، واحوالـه المنيفة قدرا تنشرح به الصدور (!) انما يدورون عـلى اشياء يشعرون منها ، او يشعر الانسان فيها انها تصغر من شأن النبوة وتقلص ظل النبي عليه الصلاة والسلام وتجعله كبشر من البشر ، لا اقل ولا أزيد (!) فهـذا يدعوهـم ان يتورطوا في اخطاء كثيرة . فلذلك هؤلاء الناس يخطؤون في هذه المزاعم التي المعت اليها اخطاء متعددة ، ولهذا لا ينبغي للانسان ان يغتر بهذه الاقوال او بمثل هذه الدعاوي التـي يدعونها : فان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا

ان نقتدي بالعلماء الذين لهم قبول ومعرفة واستعداد تام . يؤهلهم لان يكنوا أئمة في الدين . ونحن اذا نظرنا في سيرة الامام ابي حنيفة ، او الامام الشافعي ، او الامام مالك ، او الامام احمد بن حنبل رضي الله عنهم ، وجدنا في سيرة كل منهم امامة جديدة (!) يعني لو نظرنا في سلوكه في بيته وجدناه اماما . لو نظرنا في سلوكه مع الناس وجدناه اماما ، ولو نظرنا في عبادته وجدناه اماما ، لو نظرنا في حفظه للعلم وجدناه اماما ، لو نظرنا في فهمه للنصوص لوجدناه اماما ، لو نظرنا في تعبده (!) وتقواه وخروجه عن نفسه (!) لوجدناه اماما ، فكل خلق من اخلاق اولئك الائمة مصباح من مصابيح الهدى والرشاد ، فهذا مقياس المعرفة ومقياس الاهتداء بالناس .

عودة الى اتهامه السلفيين بالاستهتار بالمجتهدين وتصغير شأنهم وتحظيرهم على الناس اتباعهم بينما يدعونهم الى اتباع انفسهم

فلذلك الاستهتار بالمجتهدين والتصغير من شأنهم ، ودعوى (كذا) الناس ان يجتهدوا ، او حظر اولئك الناس على (!) أن يتبعوا الائمة المجتهدين فيه خطأ كبير ، لانهم يحظرون على الناس ان يتبعوا ابا حنيفة والشافعي واحمد ومالكا رضي الله عنهم ويدعونهم الى اتباع انفسهم (!) فيحظرونهم أن يقلدوا الائمة ، ويدعونهم الى تقليد انفسهم (!) فكأنهم يحرمون هذا على غيرهم ، ويبيحونه لانفسهم .

واذا كنا نحن مقلدين وخطيبكم من المقلدين ، ومن هو اعلى منه علما من المقلدين (كذا) ، اذا كنا كذلك ، فهل نقلد

من شهد لهم الناس وخبر الناس علمهم ، وخدم الناس مذهبهم ، من آلاف الناس المسلمون (!) لاناس لا يدرون ناسخ الحديث من منسوخه ، ولا يدرون مفاهيم اللغة العربية على حقيقتها ، فهذا التقليد يكون تقليدا مذموما مشؤوما ، لان الذي يفعل هذا ينتقل من النهار الى الليل ، ومن الضوء الى الظلام ، ومن الصواب الى الخطأ ، فالنبي صلى الله عليه وسلم امرنا ان نأخذ العلم من العلماء الذين هم في آخلاقهم علماء ، وفي سلوكهم علماء .

غمزه اياهم بأنهم مستغلون مستأجرون لنزعة (الوهابية) ! وانهم متمجهدون !

وفي حرية فكرهم علماء ، لا يستغلون لدعوة او نزعة ولا يستأجرون لجماعة آو تبعة ، انما هم مستقلون ، لو راودهم السلطان أن يقولوا قولا يكون في مصلحته لرفضوا السلطان وملكه ، وقد وثقوا ونالهم العذاب مسرورين بذلك ، واذكر لكم رجلا ليس كأبي حنيفة والشافعي ولكن من اتباعهم : شمس الائمة السرخسي ، امام كان في القرن التاسع من الهجرة ، كان في زمنه سلطان استأثر في الحكم ، فأفتى الامام السرخسي فتوى ضد السلطان فحبسه السلطان في البئر قريبا من عشرين سنة ، حبسه في البئر قريبا من عشرين سنة (كذا مكررة) آو اكثر منها . فألف وهو في البئر محبوس ، يأتيه طلبته هناك وهو في البئر ، فيملي عليهم املاء كما أقول هكذا من غير نظر في ورق ، او قراءة في كتاب او امساك بقلمه او مسطرة (!) انما هو فيض علم منحه الله لذلك الانسان أملى عليهم ستا وثلاثين مجلدا ، ترتفع عن الارض بطول متر تماما ، أملاها من صدره وهذا الانسان على سعة علمه ما خرج عن تقليد اولئك

الائمة . لا متابعة لهم ضعفا ، ولكن متابعة لهم اعتقادا ، لانهم انما يستحقون أن يقتدى بهم ، فالائمة السلف الصالح ما كانوا يبالون بالسلطان ، ولا يبالون بدعوة من الدعوات (هنا كلمات غير مفهومة) ، وقد مات كثير مضطهدا وناله العذاب ، كأبي حنيفة رضي الله عنه ـ على قول ـ مات معذبا في السجن لانه انكر السلطان (كذا) . واما الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه فقد ناله العذاب بشكل لا يتصور . ضرب بالسياط لم تعد عددا حتى يقول كلمة في امر القرآن الكريم كان يريد أن يتبناها السلطان ويدعو العلماء اقولها الائمة منهم ، كأحمد بن حنبل ، فلقي احمد ابن حنبل رضي الله عنه الوان العذاب ، وما خرج عن رأيه ، ولا باع رأيه بدريهمات لدعوة دعاه السلطان اليها ، فكانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم . فكانوا يقولون القول واضحا من علمهم واعتقادهم ومعرفتهم فاذا عرفوا خطأهم في هذا القول نادوا عليه ثاني يوم أو بعد سنين انه خطأ . ورجعوا عنه رجوع الانسان عن الشيء غير المأسوف عليه . فهذا الامام الشافعي رضي الله عنه اسس مذهبا (!) طويلا عريضا ، ثم انتقل الى العراق ، وجال في بعض البلاد الاسلامية ، فبلغه من السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم واحاديث ما لم يكن يبلغه (!) من قبل ، فغير اجتهاده كله (!) حتى كأنه نسخ مذهبه القديم ، واثبت مذهبا جديدا . وما بالى ان يقول الناس . كان بالامس يقول كذا ، واليوم يغير رأيه .

وواحد من اتباع ابي حنيفة الحسن بن زياد كان في موطن ان يرجع الناس اليه في الاستفتاء ، فأفتى فتوى ، فتبين له انه أخطأ فيها ، فبعث مناديا ينادي في الناس ويقول في البلد : أن (كذا) الحسن بن زياد استفتاه انسان

لا يدري من هو ؟ فأفتاه غلطا بكذا وكذا والصواب كذا وكذا، فقد أخطأ الحسن بن زياد ، فكانوا ينادون على أنفسهم اذا جاوزوا الشرع انهم أخطأوا .

وابو حنيفة الامام الاعظم رضي الله عنه وعن سائر الائمة له اقوال في المذهب معروفة انه رجع عنها والامام احمد بن حنبل رضي الله عنه آكثر الناس واكثر الائمة رجوعا عن اقواله حينما ينتقل الى علم جديد فيها ، ذلك لانهم يخلصون الدين لا ينتمون لجماعة (!) ولا يتعبدون لرغبة او طمع او فزع ، انما مبتغاهم تحقيق هدى الله عز وجل ، وبيان شرع الله عز وجل ، فهؤلاء الائمة هم محل القدوة من الناس حاضرهم وغابرهم وآخرهم حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

رأيه في الاجتهاد والمتمجهدين وفي أي شيء ينبغي الاجتهاد

ومن المفرح جدا ان يخرج في الناس اناس فيهم أهلية الاجتهاد ، وآلات الاجتهاد فيجتهدون في الناس اليوم وغدا في الوقائع والحوادث التي تجد ، وتحير العلماء في تخليص احكامها ، وبيان موقفها من حلال الله وحرامه ، فاذا كان لاولئك الناس المتمجهدون (!) مجال في الاجتهاد ، فينبغي ان لا يجتهدوا في تخطئة ما هو مجتهد فيه ، وقد مضى الناس عليه (!) بل يجتهدوا فيما حدث للناس من أحكام وافعال ما يدري العلماء تخريج احكامها ، وتنزيلها على موطنها مما أحل الله او حرمه ، فلذلك ما ينبغي للانسان ان يقصر تقصيرا مزدوجا فيجهل العالم ، ويقول جهلا ايضا ، فهذا نقص كبير .

اتهامه السلفيين بتكفير المتوسل بصاحب قبر
وانه مشرك حلال الدم !

ومن النقص الذي يقع فيه هؤلاء الناس انهم اذا وجدوا انسانا يتلمس قبرا ، او يتوسل بصاحب قبر ، يعدونه مشركا كافرا ، حلال الدم ما يدفن في مقابر المسلمين ولا يصلى عليه ولا يورث ، ولا يزوج ، ولا ينكح منه ، ولا ينكح أليه ، ذلك لانه في اعتقادهم مشرك .

تجويزه التوسل بالميت !

وهذا ظلم عظيم وجهل مبين ، هذا الانسان لا نقره على توسله بالقبر ، او تلمسه للحجر ، انما نقول له : انه جاهل مخطىء في ضلال ، ولكن فرق بين الضلال والجهل والانحراف وبين الحكم على الانسان بالكفر الذي يستحق به اراقة الدم وتحريم ان يدفن في مقابر المسلمين ، وانه يدفن كما تدفن الجيفة من الكلاب والحيوانات القاتلة ، فرق كبير بين هذا وذاك .

اشعاره الناس ان الشرك فقط انما هو شرك الربوبية، وتأويله لنوايا المستغيثين بالموتى وتصريحه بأن التوسل بالميت الى الله تعالى حق جائز !

وما نشعر من انسان خطاء كهذا الذي صورناه انه يعتقد ان هذا النبي او هذا الولي يحل ويربط ، ويعطي ويمنع ، ويخفض ويرفع ويتصرف في مقدرات الله عز وجل (!!) انما يعتقد هذا الانسان ان لهذا الذي يتوسل به منزلة (كذا) عند الله عز وجل ومكان (كذا) كريم ، فيطلب من الله بكرامة هذا الانسان عليه وتقدمه لديه ان يستجيب

دعاءه ، وما في ذلك من شيء من الحرام (!) وانما أخطأ هذا الرجل فسأل هذا الانسان ، فطلب منه طلبا مباشرا ، وحقه ان يتوسل به آلى الله عز وجل ، ويطلب من آلله سبحانه مستقلا ، فان الله عز وجل يقول : (ادعوني أستجب لكم) ويقول تعليما لنا : (اياك نعبد واياك نستعين) . ففرق بين خطأ المخطىء وجهل الجاهل ، وبين ان نكفره ونعده مشركا فاجرا كافرا لا يلتقي بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ففرق كبير بين هذا وذاك .

تلميحه بأن انكار الاستغاثة بالميت ليس يقينا بل ظن !

وشيء آخر ، اذا كنا نجد الجهال الذين وصفنا حالهم هذه يخطؤون فعلينا (هنا بعض كلمات لم نتمكن من فهمها والظاهر انه تكرار لما سبق من بيان الفرق بين ان تعده) كافرا وقود جهنم ، وبين ان تبين له انه أخطأ فيما تقدر وتظن (!) فحينئذ يمكنه ان يتنازل من خطئه الى صوابه ، اما اذا جئته وانت مهدد له مرعد مزبد ، كأنه استحق القتل ، ولكنك عفوت عنه لطفا وكرما (!) .

فهذا يقول الشاعر فيه :

ولو كان ادراك الهدى بتذلل

رأيت الهدى ان لا أميل الى الهدى (!)

جهله بالشرع والحديث النبوي وخلطه فيه ما ليس منه

ففرعون الذي ادعى الالوهية وقال (انا ربكم الاعلى) (الكلام غير متصل في الشريط) فيه مبالغة في المدح ، فبال الرجل حتى اذا انتهى من بوله قال النبي صلى الله عليه

وسلم أئتوني بذنوب من ماء ، يعني بدلو من مـاء ، فجاؤوا بداو من ماء فسفح الدلو ، وطهر محل البول وانتهى الامر ، فارتد الرجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللهـم ارحمني وارحم محمداً ولا ترحم معنا أحداً ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم حجرت واسعا ، يا أخـا العرب عمـم عمم (!) فقال ما معناه « لولاك لقتلوني (!) . والنبـي صلى الله عليه وسلم ارشد هذا الانسان الذي تبول فـي أقدس بقعة من بيوت الله عز وجل ، أرشده هوينا .

وجاء عن كعب بن عجرة (كذا) احد الصحابة أنه دخل المسجد فسلم والناس في الصلاة فقال وهـم في الصلاة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (!) فجعل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يصمتونه ، هكذا يعني يصفقون له (!) هكذا يعني لا يتكلم ، فخشي على نفسه ماذا فعل (!) كأنـه وقع في تهلكة ، ثم دخل في الصلاة (!) فلما انتهى من صلاته دعاه النبي صلى الله عليه وسلم فيقول كعب بـن عجرة : فبأبي وأمي ، يعني افديه بأبي وامي ـ عليه الصلاة والسلام فوالله ما نهرني ولا كهرني ولا زجرني ، ـ يعني مـا اشتد علي ، ولكن قال : ان صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء مـن كلام الناس . يعني أرشده بلطف ولـين وتعريف وعرفـه بأمره. وجاء في الحديث أن خلاد بن رافع احد اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ـ وقد دخل في الاسلام ـ فدخـل المسجد فصلى ، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يشهـد صلاته ، فصلى ، فصلى ، فما أحسن الصلاة بالمرة ، فجـاء الى النبي عليه الصلاة والسلام ، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام :صل فانك لم تصل . يعني أعد الصلاة ، فذهـب وصلى ، فكانت صلاته في المرة الثانية كصلاته في المرة الاولى ناقصة غير تامة ، فلما رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم

قال له : صل فانك لم تصل ، ثم رجل فصلى ثالثة ، فكانت صلاته الثالثة كصلاته الاولى والثانية ، فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : صل فانك لم تصل ، فقال : يا رسول الله! ما اعرف الا هذا. فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم كيف يرفع ، وكيف يسجد ، وكيف يقول وكيف يقعد . وكيف يقرأ ؟ فأصبحت صلاته كصلاة النبي صلى الله عليه وسلم (!) فما دح له ولا زجره . وكان في هذا تعليم لنا في أمر يخطىء الناس فيه .

عود منه الى أن الشرك فقط شرك الربوبية ، وتصريحه بأن التوسل بالميت صحيح جائز !

فاذا اخطأ انسان وأمسك بشباك ولي أو نبي عليه الصلاة والسلام فنقول له : هذا الشباك ، هذا الحجر لا يضر ولا ينفع ، ولا يقدم ولا يؤخر ، وهذا عبد من عباد الله أكرمه الله عز وجل بالنبوة ، وجعل له منزلة عنده . فأنت تعتقد انه هو الذي يعطيك ويمنعك ؟! فكل من تسأله في هذه الحال يقول لك : لا (!) ولكن اعتقد فيه كرامة ليست موجودة في ـ انا صاحب ذنوب وآثام ، ومعاص وجرائم ، واعمال يسود منها الوجه والجبين ، فأعرف من حالي ما لا أعرفه من الناس ، فكيف بهذا الانسان النبي او الصالح ؟ فلذلك أتوسل به الى الله عز وجل ، فلذلك نقول له : لا تطلب من هذا الولي او النبي ، اما توسلك به فصحيح (!) ولا تجعل الطلب منه ، ولكن الطلب من رب الارباب الذي لا يمنع سائله ولا يمنع مستجديه ، فهو (هنا كلمات غير مفهومة) في شراسة وشدة وجفاء ، ثم ان يكون مخطئا في أصل طريقته ، ثم يلزمه الناس بها .

تكرار طعنه بالسلفيين واتهامه اياهم بالعمالة وان الواحد منهم يصرف له المال ليقول الاعوج مستو !

فهذا ما لا يقبله عقل عاقل ، انا اعلم وارضى ان يكون الانسان مخطئا ويدعو الناس الى خطئه ! اذا كـان خطؤه نابعا من قلبه ولبه ، وفكره وعقله ، فهو اذا رأى ان هـذا الخطأ مستقيما (!) بعقله المجرد ، ودعا الناس الى ذلك ان يقولوا كقوله فهو معذور لانه يرى هذا الخط مستقيما في نظره ، ولكنه اعوج في نظر الناس ، اما ان يدعى الى خط اعوج ويشترى ويباع ويؤتى المال ، ويصرف له حتى يقول للاعوج مستو . فهذا ما لا يتابع عليه (!) ولا يقلد في وقت من الاوقات (!) ولا يمشى في طريقه اطلاقا ، فالخطأ من حيث هو خطأ يقع من كبير الائمة . وصغير الناس اما ان يكون الانسان داعيا الى الخطأ بسبب مادي ، اشتري به (!) فهذا هو الخطأ المجسم المكعب الذي لا يغتفر .

فلذلك يا معشر الناس كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: دين الله بين الغالي والمقصر (!) فنسأل الله ان يهدينا سبيل الحق بالحق ، وأن يجعلنا على هدى محمد صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا ، وسلوكا وعملا وان يجعلنا من الذين يقولون الحق ويتبعون احسنه ، ويجعلنا من الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله ، ويدعون الى الله عز وجل على بصيرة وهدى ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، أقول هذا القول واستغفر الله لي ولكم .

انتهت خطبة ابي غدة بحروفها كما جاءت في الشريط المسجل المحفوظ لدي ونقلها بالقلم الى مسودته ، ثم بيضها بقلمه أيضا بكل دقة وتجرد محمد ناصر الدين الالباني .

دمشق ٢٤ رمضان المبارك سنة ١٣٩٤

ولعل في خطبة ابي غدة هـذه الدليل القاطع عـلى ان الرجل يتظاهر بما ليس فيه فهو فيها مثلا يجوز التوسل الذي أنكره صاحب الامامة الملموسة عنده تبعا للائمة الثلاثة كمـا سبق ، فلما سألته عنه في جملة الاسئلة السبعة لم يجب بأنه موافق ـ لانه يعلم انه او فعل قال فيه اهل بلـــده : صبأ وتوهب ! وان صرح بالجواز في بلد وظيفته كما صرح بـه في خطبته في بلده تبين لكل ذي عينين أنه ... وربما صرف عن وظيفتـه !

ثالثا : اصراره على الاتهام :

لا يزال ابو غدة مصرا على اتهامه للسلفيين بما نسبته اليه سابقا في المقدمة (ص ٤٤) من قوله في بعض خطبه فـي حلب :

« انهؤلاء الوهابيين تتقزز نفوسهم او تشمئز حينمـا يذكر اسم محمد صلى الله عليه وسلم . ومن الواضح عنده ان الوهابين عنده ـ وهو يخطب في حاب ـ آنما يعني بهـــم السلفيين في حلب وغيرها من البلاد السعودية الذين أقضوا مضجعه بدعوتهم الناس الى الكتاب والسنة ، ومحاربـــة الشرك والبدعة ، فقام ابو غدة يشهر بهم ويشنع عليهم بمثل هذا البهت والافتراء الذي او صح في أحد لا سمح الله لكان ردة عن الدين والعياذ بالله ، ومع ذلك فقد أصر ابو غـــدة عامله الله بما يستحق علىهذا الاتهام الباطل ، وذلك بشيء من المكر والدوران وكثير من الخبث وسوء القصد ، فقـــد نقل في كلماته (ص ٧) ما سبق نسبته اليه من المصدر الذي كنت نقلته عنه بزيادة سطرين كنت اعرضت عنهما اختصارا، ثم نقلهما مع السطر المذكور للرد عليه أبو غدة نفسه فكان في ذلك كالباحث عن حتفه بظلفه » وهما :

« فقد خطب (ابو غدة) مرة في أحد مساجد حلب ، فتطرق الى الكلام على السلفيين فأسماهم (الوهابيين) تقليدا للعامة والرعاع . وكان مما قاله : أن هؤلاء الوهابيين تتقزز نفوسهم ... (الخ ما ذكرته) مما لا يجسر على القول به أكذب الناس ... » قال ابو غدة انتهى كلامهم (١) .

نقل هذا ابو غدة نفسه ليرد عليه فقال عقبه مباشرة :

« سقوط البهتان : واقول الذي تتقزز نفسه بذكر محمد صلى الله عليه وسلم خارج عن الملة بيقين، ومن قال هذا في هذه الايام عن أهل هذه الديار المقدسة التي يدخلها كل عام مئات الالوف من حجاج العالم الاسلامي ، فقد حكم على نفسه بالجنون المطبق والتكذيب من كل من سمعه... ولم يبق امكان عند أحد من الناس ان يصدق مثل هذه الاكاذيب ... فسبحان الله ان هؤلاء (يعني السلفيين) يكذبون كذبا مجنونا ويظنون ان الناس لا عقول لهم ، ولا عيون لديهم ، ولا موازين عندهم ، وانهم يصدقونه بكل ما يهرفون ويبهتون! ومن المعلوم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ركن من اركان الصلاة عند السادة الحنابلة ... » .

ادانة ابي غدة بتكفيره السلفيين

ان رد ابي غدة هذا على تلك الفقرة المنسوبة اليه يتضمن امورا هامة :

الاول : اعترافه بصدورها منه ، ونأخذ ذلك ، أولا :

---

١ ــ وهذا من تدليسه وتلبيسه الذي سبق التنبيه عليه في الفقرة (ثالثا) فانما هو كلام الاستاذ الاستانبولي .

من عدم مبادرته الى تكذيب ذلك وابطال نسبته اليه كما هي عادته في مثله ، ويجد القارىء في « كلماته » أمثلـــة عديدة لذلك .

وثانيا من قوله : « ومن قال هذا في هذه الايام عن أهل هذه الديار المقدسة . . . » فان مفهوم قوله « في هذه الايام » ومفاهيم المشايخ معتبرة كما تقول الحنفية ـ ان من قال ذلك قبل هذه الايام فليس من اولئك الذين حكم عليهم ابو غــدة بالجنون المطبق فكأن ابو غدة يريد ان يقول : انني قــد قلت ذلك فعلا قبل ان أطلع على الحقيقة بمخالطتي النجديين في بلادهم واما بعد ذلك فقد تبين لي بطــلان التقــزز المنسوب اليهم ، فاذا كان هذا الذي يريده فهلا كان عنده شيء مــن الشجاعة الادبية بذلك ويصرح بأنه كان مخدوعا بالدعايــات المغرضة ألتي كان يذيعها في البلاد شرقا وغربا كثير مــــن مشايخه المبتدعة كالكوثري وامثاله ومن قبله زيني دحــلان وأضرابه ، حتى امتلات البلاد الاسلامية وخصوصا منهـــا سورية بهذه التهمة الباطلة . أليس من الواجب عليه وعلى امثاله ممن عرفوا الحقيقة بعد ، ان يعلنوا بهــا عــلى الناس جميعا لا تأخذهم في الله لومة لائم ؟

الثاني : انه يصرح بأن نسبة ذلك التقزز الى أهـــل هذه الديار المقدسة كذب وجنون على حد قوله ، فنسألــه من هم أهل البلاد المقدسة التي يعنيها ؟ فان كان يعني أهــل البلاد النجدية التي عاصمتها الرياض فمن اين له في الشرع انها بلاد مقدسة ؟ لا سيما والعهد بأمثاله انهم يطعنون بهـــا وبأهلها ، بدليل ان جمهورهم لا يزالون يفسرون ان قولـــه صلى الله عليه وسلم حينما قال : اللهم بارك لنا في شامنا : اللهم بارك لنا في يمننا . قالوا : وفي نجدنــا يا رسول الله ؟

قال هنـاك الـزلازل والفتـن وهنـاك يخـرج قـرن الشيطان ، فيفسرون قولهم : « وفي نجدنا » عـلى نجـد المعروفة اليوم ، ويتأولون قوله صلى الله عليه وسلم هناك الزلازل ... بأنه اشارة الى الشيخ محمد بن عبد الوهـاب ودعوته واتباعه ! مع انه جاء في رواية انهم قالوا :

« وفي عراقنا » فهي مفسرة للرواية الاولى ، وعلى ذلك جرى شراح الحديث كالخطابي والعسقلاني وغيرهما ، ومـع ذلك لا يزال كثير من المشايخ في بلادنـا وغيرها يكابـرون ويحملون الحديث على خلاف ما آفادته الروايـة الاخرى ، كل ذلك طعنا في النجديين ودعوتهم الخالصة في آلتوحيـد ومحاربة الشركيات والوثنيات ! بل طعنا في كل من دعا بهذه الدعوة المباركة ولو كان من غير تلـك « آلبـلاد آلمقـدسة » ! كالسلفيين في سوريا مثلا !! وان كان يعني بقوله « اهـل البلاد المقدسة » أهل مكة والمدينة ألذين هم عامة سكانهـا ولم يستجيبوا لدعوة محمد بن عبد الوهاب ، وظلوا عـلى اعتقادهم في آلشركيات والوثنيات والقبوريات فيكون الشيخ ابو غدة قد دلس على القراء خاصة والجديين عامة تدليسا خبيثا آخر ، ذلك لأن أهل مكة والمدينة بلادهم مقدسة فعلا ولا يتبادر الى أذهان آحد من آلقراء مطلقا غير ذلك ويؤيـده قوله في وصفها « التي يدخلها كل عام مئات الالوف مـن حجاج العالم الاسلامي » وحينئذ فليسوا هم الذين كـان عناهم بقوله حينما كان في ضلاله القديـم : « ان هـؤلاء الوهابيين تتقزز نفوسهم أو تشمئز حينما يسمعون بذكـر (النبي صلى الله عليه وسلم) لانه لا يوجد أحد يتهم سكـان هذه آلبلاد آلمقدسة فعلا بالوهابية حتى ينزههم آبو غدة من هذه آلتهمة ، وانما الذين يتهمون بها هم آلنجدبون الحكـام فيها ، فلم عدل أبو غدة عـن التصريح بتنزيه هؤلاء النجديين

من هذه التهمة التي كان الصقهم بها وهو في حلب قبل ان يصير هو من سكان لك « البلاد المقدسة » ؟!

والجواب ان مثل هذا التصريح لو اباح به لزمه امران اثنان احدهما لا بد منه .

١ ــ ادانته بالكذب والافتراء على الابرياء والله عز وجل يقول : (ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا) فكيف اذا كان يرمي به جماعة بل شعبا برمته ، ولما سكن ارضهم صار يزكيهم ويتزلف اليهم بالثناء عليهم بـ « كلماته » (ص ١٣ و ١٤) !

٢ ــ طرده من وظيفته التي هو في سبيل الاحتفاظ بها يظهر للناس انه سلفي يدين بالتوحيد الذي دعا اليه ابن تيمية وابن عبد الوهاب !!

٣ ــ وهب ان ابا غدة عنى بقوله السابق تبرئة النجديين انفسهم من تهمته اياهم سابقا ، وانه لم يعن بالديار المقدسة بلادهم النجدية ، وانما عنى الحرمين الشريفين فعلا وانما نسبها اليهم على اساس انهم الحكام عليها فهي حينئذ حيدة ومكر منه خبيث . لان التهمة المعزوة اليه ليست في حكام هذه البلاد المقدسة مباشرة وانما هي في جماعة التوحيد الساكنين في حلب وغيرها من البلاد السورية والذين يعرفون فيها بـ « السلفيين » فهؤلاء هم الذين ادعي على ابي غدة بأنه اتهمهم بتلك التهمة الباطلة ، فاذا رأيناه ، فر من تبرئتهم اياهم منها ، الى تبرئة من لم يدع عليه اتهامهم بها ، وان كان هو وغيره من المبتدعة يشملونهم في اتهامهم بتلك التهم مع السلفيين وغيرهم من أهل التوحيد ، فهذا معناه شيئان اثنان :

اولا : انه يبرأ النجديين من تلك التهمة ، وان كان الكلام ليس له علاقة بهم ، ليرضوا عنه ولا يظنوا به ظن السوء ، واما ان يظل غير هؤلاءمن السلفيين وغيرهم من أهل التوحيد ممن يبهتهم أبو غدة بما سبق ، يسيئون الظن به فذلك مما لا يهمه الآن ، لان المقياس عنده ليس هو رضى الله والبعد عن سخطه ، وانما المحافظة على الوظيفة التي تدر عليه الاموال والمكاسب المادية ، والا فقل لي بربك لماذا عدل عن الاجابة عما اتهم به ابو غدة من آتهامه للسلفيين السوريين ، فلم يحدد موقفه تجاه اتهامه اياهم بما سبق لا سلبا ولا ايجابا فهو لم يقل مثلا : نعم هم كما قلنا سابقا « تتقزز نفوسهم أو تشمئز حين يسمعون بذكر النبي صلى الله عليه وسلم » . او يقول كما كنا نأمل ان يقول : « سبحانك هذا بهتان عظيم » وأنا لم أقل شيئا من ذلك الذي نسبه الي المعلق على كتاب « التصوف » ، أما ان يراوغ ، فيحيد عن أن يقول شيئا في السلفيين وهم الذين اتهمهم بتلك الفرية مباشرة ، ويدير الكلام على النجديين الذين ليس لهم ذكر مطلقا في التهمة التي عزيت اليه ونقلها هو في « كلماته » وانما هي على السلفيين في حلب خاصة ، فما أجدره بالمثل الذي يقول : « أروغانا يا ثعال وقد علقت بالحبال » .

والخلاصة ففي الوقت الذي يريد ابو غدة ان يثبت ان ما نسب اليه من الاتهام انما هو افتراء عليه اذا به يدين نفسه بنفسه ، ويحقق هو التهمة بشخصه ، مصداقا لقوله تعالى : (ولا يحيق المكر السيء الا بأهله) وتحقيقا للمثل القائل : « فر من الموت وفي الموت وقع » و « على نفسها جنت براقش » وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول : « من قال في مؤمن ، ما ليس فيه أسكنه الله ردغة

الخبال ، حتى يخرج مما قال ، وليس بخارج » وهو حديث صحيح مخرج في « الصحيحة » (٤٣٨) و « ارواء الغليل » (٢٣٧٦) وردغة الخبال هي كما في حديث آخر عرق أهل النار أو عصارة أهل النار . والعياذ بالله منها ومن اسبابها والآخذين بها !

واذا كان ابو غدة قد صرح بقوله المتقدم نقله عنه : « الذي تتقزز نفسه بذكر محمد صلى الله عليه وسلم خارج عن الملة بيقين » وهذا في نفسه حق لا ريب فيه ، وكان لا يزال يتهم السلفيين بالتقزز المذكور على ما سلف بيانه وادانته به ، فينتج من هاتين المقدمتين ان السلفيين عنده كفار خارجون عن ملة الاسلام يقينا . وقد يصر بعض القراء على تبرئة ابي غدة من اتهامه للسلفيين بالتقزز المذكور على الرغم من عدم انكار ابي غدة ذلك لو وجد سبيلا اليه ـ لفحش التهمة وفظاعتها وسوء ما نتج منها من التكفير ولكن ماذا يقول القراء في تهمته الاخرى اياهم وهي : « انهم يصغروا (كذا) شأن النبي صلى الله عليه وسلم » هذه التهمة المسجلة في شريط محفوظ عندي كما تقدم ونحن مستعدون ان نسمع من شك في ذلك صوت ابي غدة بذلك بالحرف الواحد مع لحنه المشار اليه (!) وهي لا تقل عن سابقتها في الفحش والفظاعة .

ومثل هذه الاتهامات التي يلقيها ابو غدة بين الناس جزافا « شنشنة نعرفها من أخزم » مما لم يتفرد هو به ـ مع الاسف الشديد ـ بل ذلك سنة معروفة لاعداء السنة والحديث جميعا بدون اي خوف او شعور بالمسئولية وفي كل زمان ومكان ، ان يتهموهم بما هم براء منه ، واذا كان القراء الكرام يعلمون ان سيد البشرية عليه الصلاة والسلام

قد رماه اعداؤه بأنه شاعر ، ساحر مجنون ، أفليس من باب اولى أن يرمي اعداء السنة أهل السنة بما هم منه براء.
ولئن كان يصعب عليهم أن يصدقوا بهذه التهم الكاذبة الصادرة من ابي غدة بحجة انه غير مسطور في شيء من كتبه ، فليعلموا ان الحجة تقوم بغير الكتب ايضا حتى عند ابي غدة نفسه فقد قال في « كلماته » (ص ٢١) :

« على اني أتحدى اي انسان ان يثبت اني قلت شيئا من هذا الذي ادعوه زورا وبهتانا ـ في كتبي ودروسي ـ او فيما صنفت أو ألفت » .

والتهمة الاولى ـ تهمة التقزز ـ يكفي في اثبات صدورها من ابي غدة اقراره اياها وعدم مبادرته الى انكارها كما سبق ، ولو فرضنا انه تدارك الامر بعدما ألزمناه به من تكفيره للسلفيين ، وعلى حد المثل السائر « في الصيف ضيعت اللبن » عند ذلك تبرز أسماء شهود عيان عدول يشهدون عليه بذلك ، ولذلك فخير له ان يعترف بأن تصريحه بذلك كان زلة اغواه الشيطان بها ، فهو يتوب منها ، ولعله فاعل فان لم يفعل فهو الكبر نفسه الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » ثم فسره بقوله : « الكبر بطر الحق (اي رده بعد ظهوره) وغمط الناس » اي الطعن فيهم بغير حق تماما كما فعل ابو غدة هداه الله .

والتهمة الاخرى صوته بها مسجل عندنا كما ذكرنا ففي ذلك اكبر اثبات لها وادانة له بها .

ثم ما لنا نذهب بعيدا ، فهذا دكتور من الدكاترة والمدرسين في كلية من كليات الشريعة يقول في كتاب له مطبوع

مما نصبه بالحرف الواحد :

« ضل قوم (يعني السلفيين) لم تشعر أفئدتهم بمحبة رسول الله صلى الله عليـــه وسلم وراحـــوا يستنكرون التوسل بذاته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته » (١) .

فهذه كالتهمتين السابقتين فظاعة لان معناها أيضا أنهم كفار عنده ولا يشعر هذا الجاهل الغبي أنـــه قـــد سبقنا الى استنكار التوسل المذكور كبار الذين يوجب هـــو وأمثاله من المتعصبة المقلدة على الناس أن يقلدوهم ، وفي مقدمتهم الامام أبو حنيفة رحمه الله ، أفتراه هو وغيره ضالا ايهـــا الغبي أم انت لا تدري ما يخرج من فيك ؟!

وبعد فهل من الصدق قول أبي غدة (ص ١٩) :

« فليس تكفير الناس فضلا عن العلماء من شيمتي ولا خلقي والحمد لله . فقد حفظني الله تعالى بما أكرمني به من عقل (!) وما أدبني بـــه مـــن أدب الاسلام أن أقـــع في هذه المكفرات والموبقات . فانه من كفر مؤمنا فقد كفر » ؟

وأقول : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كفر مسلما فقد كفر . واذا كان أبو غدة يقول : ان السلفيين تتقزز نفوسهم حينما يسمعون بذكر النبي صلى الله عليـــه وسلم ثم يقول : أن الذي تتقزز نفسه بذكر محمد صلى الله عليه وسلم خارج عن الملة بيقين » . وبعد هذا مباشرة يبرىء من هذا التقزز المخرج عن الملة (أهـــل الديـــار المقدسة التي

---

١ ــ انظر كتاب « فقـــه السيرة » (ص ٢٥٤ ــ الطبعـــة الثالثـــة) للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .

يدخلها كل عام مئات الالوف مـن الحجاج ...) ولا يخص بالتبرئة السلفيين الذي صب عليهم مباشرة تهمتـه ، أفليس معنى ذلك أن السلفيين عنده خارجون عـن الملة بيقين ، فاين تلك الشيمة والخلق الذي تبجح بـه ؟! وههنا اذكره بقوله صلى الله عليه وسلم : « أيما رجل مسلم أكفـر رجلا مسلما فان كان كافراً والا كان هـو الكافر » لعلـه يخجل أن يدعي ما ليس فيه وعسى أن يرتدع ويرعوي عـن تكفير المسلمين الموحدين ، ويتوب الـى الله مما بـدر منه توبة نصوحا ، لا مواربة فيها ولا مكابرة .

رابعا ـ من أكاذيبه التي لا تتناهى :

ذكر أبو غدة (ص ١٠ ـ ١١) مـا كنا وصفناه بحق في « المقدمة » من أوصاف تلبس بها في تقريره الجائر ، متظاهرا بأنه بريء من ذلك كله دون أن يحاول أن يقيم علـى ذلك ولو شبه دليل الامر الذي يجعل كـل منصف متجرد عن الهوى والغرض ، يدينه بذلك كله حينما يرانا قد أقمنا الدليل على كل ما وصفناه به في المقدمة ، ويرى أبا غدة يتنصل من ذلك في « كلماته » بمجرد أن يقول :

« هذا افتراء صريح » .

ان أكبر مجرم على وجـه الارض لا يعجـز ان يبرىء نفسه بمثل هذا القول الرخيص « افتـراء صريـح » وأمـا الرجل البرىء الشريف حقا فهو الذي يقرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل وهذا ما لم يفعله أبو غدة ولن يفعله ، لانـه يعلم أنه لو فعل فيكون كالباحث عن حتفه بظلفه .

ولا تتسع هذه العجالة لاعادة ما ذكرنا من الادلـة في « المقدمة » على ما وصفناه به لا سيما وفي « كلماته » مـن

الامثلة الجديدة التي تشهد لبعض ما وصفناه به هناك من الخصال ما يغنيني عن الاعادة هنا ، فلنذكر بعض هذه الامثلة ليعلم القارىء أن أبا غدة فوق ذلك بكثير !

امثلة جديدة على ذلك

اولا : قال (ص ١٠) وقد ذكر المقدمة لشرح « العقيدة الطحاوية » : « وقد شحن بما يتجافى مع سمو العقيدة السامية ، من أقذاع وقذف وطعن وتكفير » .

فأقول : فقوله « وتكفير » فهو من أكاذيبه التي تدل على خبيثة نفسه ، ليثبت بذلك للقراء الخرافة الباطلة التي يشيعها هو وأمثاله من الخرافيين أن السلفيين يكفرون المسلمين . فنحن نتحداه ليثبت المكان الذي رميته فيه بالتكفير المزعوم من « المقدمة » وهي في صفحات معدودة فان لم يفعل ولن يفعل فقد تبين للناس انه أفاك كذاب ، وان أصر باهلناه ان شاء (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) .

وأما الطعن فلا بأس علينا منه ، لانه بحق وهو مشروع كما أثبته في المقدمة (ص ٤٣) واما القذف ، فان أراد به السب ، فهو كالطعن وقد عرفت جوابه ، وانما هو يستكثر من الالفاظ للتهويش ، وان اراد به القذف بالزنا فهو زور كسابقه ومثله قوله : « اقذاع » . في القاموس : « قذعه كمنعه رماه بالفحش وسوء القول كأقذعه » !

ثانيا : قال (ص ١٠ ــ ١١) : « ووصفني المرات تلو المرات بأني حنفي مسوقة مساق التعيير والمسبة ، اذ يرون الانتساب الى الامام ابي حنيفة او غيره من الائمة المتبوعين الاجلة سبة ونقصا » .

فأقول : سبحانك هذا بهتان عظيـم ، وزور جسيم ، من مثل هذا الافاك الاثيم ، فانه يعلم اننا على النقيض مـن ذلك مما هو مطبوع في كثير من مؤلفاتـي وبخاصة مقدمتي لكتابي « صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم مـن التكبير الى التسليم كأنك تراها » وهي في تسع وخمسين صفحة . طبعت منذ سنين عدة مرات وابو غدة على علم بها قطعـا ، ولكن صدق رسول اللق صلى الله عليه وسلم : « اذا لـم تستح فاصنع ما شئت » ولا بأس من ان اقتطف منها مـا يناسب المقام ، فقد قلت فيها (ص ٢٦) بعد الاعتذار لابـي حنيفة رحمه الله تعالى عما وقع له مـن المخالفـة لبعض الاحاديث الصحيحة ، مع أمره أتباعه بالعمل بما صح منهـا عندهم في نصوص كثيرة ثابتة عنه :

« قلت : فاذآ كان هذا عذر ابي حنيفة فيما وقع منـه من المخالفة للاحاديث الصحيحة دون قصد ـ وهو عـذر مقبول مطلقا لان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها ـ فـلا يجوز الطعن فيه بسببها كما قد يفعل بعض الجهال ، بـل يجب التأدب معه لانه امام من أئمة المسلمين الذين بهم حفظ هذا الدين ووصل الينا ، ما وصل من فروعه ، وانه مأجور على كل حال أصاب ام أخطأ ، كما انه لا يجـوز لمعظميه ان يظلوا متمسكين بأقواله المخالفة للاحاديث لانها ليست مـن مذهبه كما رأيت نصوصه في ذلك ، فهؤلاء في واد واولئك في واد ، والحق بين هؤلاء وهؤلاء (ربنا اغفـر لنـا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولاتجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم) .

هذا طرف مما ذكرته هناك من الثناء على الائمـة المتبوعين والذب عـن بعضهم ومـا يجب أن يكـون عليـه

اتباعهم ، وفيه التصريح باقرار الانتساب بشرط ايثار الحديث على التقليد وأستطيع أ ألخص ذلك هنا بما يلي :

ان الانتساب الى أحد من الائمة كوسيلة للتعرف على ما قد يفوت طالب العلم من الفقه بالكتاب والسنة ، أمر لا بد منه شرعا وقدرا ، فان ما لا يقوم الواجب الا به فهو واجب ، وعلى هذا جرى السلف والخلف جميعا ، يتلقى بعضهم العلم عن بعض ، ولكن الخلف ـ الا قليلا منهم ـ خالف السلف حين جعل الوسيلة غاية ، فأوجب على كل مسلم مهما سما في العلم والفقه عن الله ورسوله من بعد الأئمة الاربعة ان يقلد واحدا منهم ، لا يميل عنه الى غيره كما قال احدهم : وواجب تقليد حبر منهم .

ونتج من ذلك ان يتعصب كل منهم لمذهبه ، دون ان يتذكروا أن اتباع المذهب وسيلة ، وان الغاية اتباع الكتاب والسنة ، فأصبحت الغاية عندهم نسيا منسيا ، وجعلوا القرآن وراءهم ظهريا ، وتمسكوا بالمذهب وتدينوا به ، وتعصبوا له على السنة الصحيحة ، فكلما جئت أحدهم بحديث صحيح أعرض عنه ونأى بجانبه ، ومن العجائب ان بعضهم يبرر ذلك بقوله : « نحن أسراء النصوص » يعني اقوال العلماء على ما بينها من تعارض واختلاف في المذهب الواحد فضلا عن المذاهب الاخرى .

فقلنا : ونحن كذلك ولكن بفارق كبير ، نحن أسراء النصوص المعصومة من الكتاب والسنة ، والمحفوظة عن الاختلاف والاضطراب (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) واما انتم فأسراء النصوص المختلفة والمضطربة اختلافا كثيرا يحار الخريت منكم في الفقه التقليدي في التوفيق بينها او ترجيح وجه من وجوه

الاختلاف فيها ! وهنا يتدخل الهـوى والعـادة وارضاء الغوغاء والعامة فيجعلونه مرجحا شاؤوا أم أبوا .

فاذا كان أبو غدة يعني بالانتساب المذكور في كلامـه مطلق الانتساب هذا الذي هو وسيلة لا غاية وهو الظاهر من اطلاقه لكلامه فقد افترى علينا والله حسيبه ، وان كـان الانتساب الذي عليه الاغلبية الساحقة من المقلدة ــ وهـذا ما لا أظن انه يستطيع أن يبوح به ــ فنحن نقـول بكـل صراحة : اننا نراه سبة ونقصا . ونزيد فنقول ان ذلك ممـا تلقيناه من الائمة الذين نهوا عن التقليد وأوجبوا الاتبـاع للكتاب والسنة في نصوص عديدة استوعبتها في المقدمة المشار اليها آنفا ، ومن ذلـك قول بعضهم « لا يقلـد الا عصي او غبي » (١) .

وقوله فيما تقدم : ووصفي المرات تلو المرات بأنـي حنفي مسوقة مساق التعبير والمسبة . هومن ذلك القبيل في الافتراء والبهت . فاننا لا نعير احدا لمجرد كونه منتسبا لابي حنيفة أو غيره من الائمة رحمهم اللـه جميعا ، وانما نعير من كان متعصبا لمذهبه مؤثرا له على كتاب ربه ، وسنة نبيـه صلى الله عليه وسلم ، وابو غدة من هـذا الجنس قطعـا شديد التعصب لمذهبه ، فخور به ، فانه يحمد اللـه عـلى

---

١ ــ وقد حرف ابو غدة هذه العبارة بجهلـه او تجاهله فقال : (ص ٣٨) : « فلا يتابع في كل شيء الا عصبي او غبي » . وذلك لانه يفهـم ان الاتباع هو التقليد بدليل قوله قبل ذلك : « مع أني تابع مقلد والحمـد لله على فضله (!) فلا يتابع في كل شيء الا ... » وهذا مـن جهله بمـا حققه العلماء كابن عبد البر وغيره من الفرق بين الاتباع والتقيد او مـن المخالفة المقصودة منه لهم (واحلاهما مر) .

تقليده اياه كما سبق ، فبتعصبه هذا عيرناه ، وليس بأنـه (حنفي) كما أفترى علينا ، وأنت اذا قرأت المقدمة لم تجد فيها هذا الذي زعم ، وانما تجد فيها وصفي اياه بأنه « من متعصبة الحنفية (ص ١٥) ونحـوه في (ص ٢٩ ، ٧٦) او ب « المتعصب الجائـر » (ص ١٩ ـ ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ب « المتعصب الجائر » (ص ١٩ ـ ٢٢ و ٢٧ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٥٦) ومـرة قلت فيـه : « عـلى بالغ تعصبه » ! فهذا هو الذي نأخذه عليه انمـا هـو التعصب وليس مجرد التحنف ! وقد عرفت الفرق بينهما ، وعلى هذا أهل العلم والانصاف (١) .

أمثلـة مـن تعصبـه

وقد يتساءل البعض فيقول : صحيح انك لـم تعيره بمجرد كونه حنفيا ، وانما لتعصبه لمذهبه وايثاره اياه عـلى كتاب الله وسنة نبيه ، فما الدليل عندك على ذلك ؟ فأقول : قد اودعت « المقدمة » بعض ما شئت مـن الادلـة ، وانا لم استجز لنفسي وصفه بذلك الا بعدمـا تحققت منـه ، ولا بأس من الاشارة الى شيء من ذلك .

---

١ ـ ومن الغريب ان ابا غدة ذكر في ترجمـة ابـي الحسنات اللكنوي في مقدمته على « الرفع والتكميل » (ص ٢٩) عن الشيخ عبد الحـي الحسني الندوي انـه قال في الامـام اللكنوي : « وكان عـلى مذهب ابـي حنيفة في الفروع والاصول ، ولكنه كان غير متعصب في المذهب ، ويتبـع الدليل ، ويترك التقليد اذا وجد في مسألة نصا صريحا مخالفا للمذهب» . قلت : نقل هذا ابو غدة ثم لم يستفد منه شيئا الا ثباتا على تعصبـه ، ومعاداة للحديث وأهله !

١ ـ متابعته للتهانوي مؤلف « مقدمة اعلاء السنن » (١) على الطعن في « الصحيحين » وأئمة الحديث ، ونقده اياهما نقدا عاما انتصارا لمذهبهما الحنفي الذي لا يأخذ بكثير من احاديثهما (ص ٣٥ مقدمة شرح الطحاوية) ولم يرد عليه في « كلماته » ولا بكلمة واحدة .

٢ ـ طعنه في الامام البخاري ونسبته اياه الى الانحراف عن ابي حنيفة وتعصبه عليه وغمزه به تحت عنوان « سبب انحراف البخاري عن ابي حنيفة » (ص ٣٨٠ ـ الطبعة الثالثة) . وكان أخونا الاستاذ زهير نقل طرفا منه في « التوضيح » فلم يرد عليه ولا بكلمة .

٣ ـ طعنه في المحدثين قديما وحديثا وسوء ظنه بهم ، ومما يدل عليه ما نقله عن الشيخ الكشميري الحنفي في توجيه تضعيف المحدثين للامام محمد بن الحسن الشيباني وهو انه كان اول من جرد الفقه من الحديث وكانت مشاكلة التصنيف قبل ذكر الآثار والفقه مختلطا ، فلما خالف رأيهم طعنوا عليه في ذلك !

فقلت معقبا عليه في « المقدمة » (ص ٣٩) :

« هكذا قال ! مع انه يعلم أن الطعن عندهم انما هو سوء الحفظ ، قال الذهبي في ترجمة محمد بن الحسن من « الميزان » :

« لينه النسائي وغير من قبل حفظه » .

وقد حكاه المؤلف عنه عن (التهانوي) (ص ٣٤٤) ولكنه جاء بباقعة أخرى فقال في التعليق عليه :

« قلت : تشدده معلوم » ! يعني الامام النسائي !

---

١ ـ وقد سماها ابو غدة « قواعد في علوم الحديث » .

وراجع ص ٩١٣ مــن « قواعده » لتطلع عـلى نماذج اخرى من الطعن في المحدثين وتعليقه على « التكميل » (ص ٢١ و ٣٠ و ٣١ و ١٤٢ و ١٨٣ و ١٨٨) وترجمته للحـارث الحاسيبي في رسالــة (المسترشدين) (ص ١٣ و ص ٣٨ ـ ٣٩) من المقدمة ، ولم يرد عليه ابو غدة ولو بكلمة !

٤ ـ اصراره على القول بأن الايمان لا يزيـد ولا ينقص تعصبا لحنفيته وكوثريته خلافا للآيـات الصريحة والاحاديث الصحيحة واقوال السلف ، واخيرا خلافا لشارح الطحاوية الذي مجده ابو غدة ووصفه بحق بأنه « من أهل التوثـق والضبط وامامة ملموسة مشهورة » ، ولكنها كلمة حق اريد بها باطل . بدليل اصراره على عدم متابعته اياه على هـذه المسألة في جملة المسائل السبع التي سألته عـن موقفـه تجاهها فلم يتعرض لها بجواب خشية انكشاف أمره لمـن لا يزال يحسن الظن به من أهل التوحيـد ، وان سايرهم او وافق الحق نبذه اصحابه الذيـن لا يقدرونه الا لتعصبـه المذهبي !! فآثر السكوت عن الاجابة لكي لا يتورط مع هؤلاء او هؤلاء !! وذلك هو السبب ايضا في سكوته على تصريـح الامام ابن القيم بتصحيح القول بأن الايمان يزيـد وينقص وانه اجماع السلف حكاه الشافعي وغيره ، فلم يعلق عليـه ابو غدة بشيء !! (١)

٥ ـ لم يوافق على قول الامام الطحاوي : القـرآن كلام الله تعالى منه بدا ، بلا كيفية قولا ، وانزله على رسوله وحيا ، وصدقـه المؤمنون على ذلـك حقا ، وايقنوا انه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككـلام البريـة ، وانـه تعالى لم يزل متكلما اذا شاء ، وكيف شاء ، وانـه يتكلم

---

١ ـ انظر « المنار المنيف » لابن القيم بتحقيق « ابو غـدة » (ص ١١٩) .

بصوت . ومن قرأ بحثه في مسألة خلق القرآن التي اطال الكلام عليها في تعليقه على « القواعد » (ص ٣٦١ ـ ٣٧٩) يتبين له جليا أنه جهمي جعدي فكيف يوافق صاحب الامامة الملموسة المشهورة على عقيدته السلفية ؟ وراجع تعليقه على الرفع والتكميل (ص ١٨٨) لترى اقراره شيخه الكوثري على طعنه في رواة الحديث لقولهم بأن القرآن كلام الله غير مخلوق وان الخلاف بينهم من جهة ، وبين الحنفية والمعتزلة من جهة اخرى خلاف لفظي ، « وعلى تقدير كونه حقيقيا يكون المغمز في جانبهم حتما » !!

٦ ـ ولا على ان الله تعالى فوق عرشه كما يليق بجلاله ، وكيف يمكن لابي غدة أن يؤمن بذلك كله وشيخه الكوثري يصرح بأن ذلك تشبيه وتجسيم !!

بل ابو غدة نفسه اشار الى ذلك حين طعن في الامام ابن القيم فقال في تعليقه على « الاجوبة الفاضلة » (ص١٣٠) تراه اذا روى حديثا جاء على (مشربه) المعروف (!) (يعني التجسيم) الغ في تقويته ... ثم اعاد ذكر (مشربه) بعد سطر ! !

٧ ـ ولا يجيز للمسلم ان يسأل فيقول : « اين الله » كما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرغم من صحة الحديث عند مسلم وغيره لتشكيك شيخه في صحته ، والا فلماذا لم يجب عن اي سؤال من تلك الاسئلة ، وبخاصة هذا فقد قالت له صراحة (ص ٥٢) : « فهل تؤمن انت بهذا الحديث ، وتجيز هذا السؤال الذي سأله الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ » .

فلم يجب ـ كعادته ـ ولا بحرف واحد ، فهل بقي بعد ذلك ادنى ريب في تعصبه لمذهبه واعراضه عن كتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ؟!

وان شئت المزيد من الامثلة مما نعرفه عنه ولم يسبق لنا أن تعرضنا لذكرها فاليك بعض ما تيسر منها .

٨ ــ تقويته لحديث « أقل الحيض ثلاث وأكثره عشر » انتصارا لمذهبه وردا لقول ابن القيم في « المنار » انه ليس فيه شيء صحيح بل كله باطل ، فتعقبه في تعليقه عليه (ص ١٢٢) تبعا لعلي القاري وغيره بأن له طرقا متعددة ، وقد جهلوا او تجاهلوا انها شديدة الضعف لا تصلح للتقوية ، كما فصلته في « سلسلة الاحاديث الضعيفة » برقم (١١١٤) .

٩ ــ مخالفته اتفاق علماء الحديث على تضعيفهم لبعض الاحاديث ، منها حديث « لا يجب الوضوء على من نام جالسا » تعصبا لمذهبه وتقليدا منه للشيخ علي القاري في « فتح باب العناية » (١/٦٧) وقد فصلت القول في ضعف الحديث مع الرد عليهما في المصدر السابق (٤٣٨٤) وبينت ان طرقه شديدة الضعف لا يصلح ان يتقوى بعضها ببعض مع مخالفته لعموم قوله صلى الله عليه وسلم : « من نام فليتوضأ » .

ثالثا : قوله (ص ١١) عطفا على قوله « بأني حنفي » : « ويذم الشيوخ الاحناف » . قلت : هذا الاطلاق كذب ، لانه يوهم شمول الذم لجميع شيوخ الاحناف المتقدمين منهم والمتأخرين ، المنصفين منهم ، والمتعصبين ، وليس كذلك ، وانما كلامي في شيوخ المتعصب الجائر نفسه ، ولست أعنيهم ايضا جميعا وانما اعني بداهة الذين شاركوه في التعصب على ائمة الحديث كالبخاري ومسلم وطعنوا فيهم وهذا نص كلامي في ذلك (ص ٣٦) : « ان مبلغ تعصب هذا

الحنفي تبعا لشيوخه الاحناف على أهل الحديث عامة والبخاري ومسلم خاصة ، لا يعلمه الا من تتبع مؤلفاتهم او تعليقاتهم على غيرها ، وقد سبق ذكر بعض النماذج منها (اعني الكوثري وتلميذ الكوثري) ومن الادلة الجديدة التي وقفت عليها تلك المقدمة التي مضت الاشارة اليها ، والتي قام هذا المتعصب الجائر على طبعها حديثا والتعليق عليها . »

هذا هو مناط كلامي ، انما هو في بعض شيوخ هذا المتعصب من الحنفية ، فانظر كيف حرف قولي « لشيوخه الاحناف » الى « الشيوخ الاحناف » الذي لا يمكن فهمه في الدائرة الضيقة التي تفيده اضافة الشيوخ اليه دون الاطلاق الذي عزاه الي فصنيع من هذا التبديل والتحريف من الاقوام ؟!

قائمة بما دمغنا به أبا غدة من الجهل بهذا العالم الشريف والتهويش على خادمه والطعن فيه بالباطل ثم صمت في ((اباطيله وافتراءاته)) عنها !

١ ــ انكر علي قولي « صحيح متفق عليه » لما فيه من الجمع بين التصحيح والعزو للصحيحين وبنى عليه ما شاء له هواه من الاتهام بالباطل وقال بجهله :

« فجاءبشيء لم يسبقه اليه المتقدمون ولا المتأخرون »!
فأثبت له ان هذا الذي أنكره هو صنيع الحافظ البغوي ، والنقاد الذهبي .

٢ ــ انكر علي قولي في بعض الآثار : « لا أعرفه » .
فأثبت له انه اصطلاح معروف عند المحدثين وأتيت له بشواهد عديدة من كلامه نفسه في مقدمة له !

٣ ـ انكر علي استدراكي على شارح الطحاوية عزوه لـ « الصحيح » وبينت انه ليس في « الصحيح » وهو البخاري ومسلم فلم يثبت المتعصب الجائر خلافه .

٤ ـ أنكر علي نقدي لاسناد حديث « من عادى لي وليا ... » فأثبت له انه نقد علمي صحيح ، سبقني اليه غير واحد من الائمة ، وانني تحفظت في الحكم على متنه ، وصرحت بأنه تبين لي بعد صحته ، بينما شيخه الكوثري حكم بنكارته فكان هو الاولى بالانكار عليه !

٥ ـ انكرت عليه ميله الى تصحيح حديث رد الشمس على علي رضي الله عنه من حيث الصناعة الحديثية تقليدا لشيخه الكوثري وقوله : « فلا بد على هذا من تأويل الخبر مع قولنا بصحته لمخالفته ما هو من الامور العلمية » . وبينت ان هذه فلسفة تفتح باب رد الاحاديث الصحيحة لمثل هذه الشبهة .

٦ ـ كما انكرت عليه نقله عقب ذلك عن ابن تيمية انه جزم بوضع الحديث ! وادنته بجهله بهذا العلم ، والا لما حار بين الحكمين المتناقضين ، وذكرت السر في حكايته اياها !

٧ ـ أثبت له تحامله علي بسبب وهم وقع لي في تخريج حديث كنت نبهت عليه في استدراك لي طبع في آخر الكتاب قبل تحامله المشار اليه بسنتين ، وأقمت الدليل من كلامه انه لا يلزم من ذلك الوهم اسقاط الثقة عن الواهم كما يحاول هو ذلك .

٨ ـ وألزمته بناء على تحامله المذكور ـ ان كان فيه مخلصا ـ ان يسقط الثقة ايضا عن شارح الطحاوية لبعض

الاوهام التي وقعت له في « الشرح » والا فهو يلعب على الحبلين .

٩ ــ نسبت اليه تدليسا خبيثا حول الاستدراك المشار اليه وانه يقلب الحقائق .

١٠ ــ سردت له اربعة عشر حديثا صحيحا من الصحيحين او أحدهما ضعفها شيخه الكوثري كلها ، وسألته عن رأيه في شيخه هذا الا يزال مع ذلك عنده في موضع وصفه اياه ب « العلامة المحقق الحجة الامام . . . » أم انه لا يوثق به لتضعيفه لهذه الاحاديث الصحيحة ؟!

١١ ــ بل أثبت له حديثا صحيحا رواه مسلم ضعف المتعصب نفسه متنه ، مبينا له الفرق بين تضعيفه اياه ، وتضعيفي لسند الحديث المشار اليه في الفقرة السابقة برقم (٤) .

١٢ ــ كما أثبت له الفرق بتضعيفي السند المذكور آنفا دون المتن وبين ما جاء في مقدمة اعلاء السنن للتهانوي من الطعن في « الصحيحين » وذكر بعض المغامز عليهما ، واقرار المتعصب الجائر اياه في تعليقه عليه ! انما يلزمهم انهم هم الطاعنون في « الصحيحين » لا غيرهم .

١٣ ــ أخذت على مؤلف المقدمة المذكور والمعلق عليه وضعهم قواعد حديثية خالفوا فيها أئمة الحديث منها ان المجتهد اذا استدل بحديث كان تصحيحا له ، ومنها قبول مرسل غير الصحابي من أهل القرن الثاني والثالث والرابع ، فاذا قال راو ولو في القرن الرابع او بعد الائمة الستة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك حديثا صحيحا !! وبينت له خطورة مثل هذه القواعد المزعومة المنافية لما هو متفق عليه حتى عند بعض الحنفية من أن الاسناد من الدين ،

ولذلك اقترحت عليه ان يضم الى الاسم الجديد الذي وضعه للمقدمة : « قواعد في علوم الحديث » قوله : « على مذهب الحنفية » !

١٤ ـ وأخذت على بعض مشايخه وهو صاحب المقدمة قوله : « لا يقبل قول أئمة الحديث : هذا الحديث غير ثابت او منكر من غير أن يذكر الطعن » مع قولهم السابق المفيد انه يقبل حديث المجتهد لمجرد استدلاله به !!

١٥ ـ واثبت تعصبهم لامامهم بقوله : « شيوخ أمامنا الاعظم ابو حنيفة رضي الله عنه ثقات » مع ان واقع الامر يكذبه كما اثبته هناك ، بايراد أسماء بعض شيوخه رحمه الله ، ومنهم جابر الجعفي الذي ثبت عن أبي حنيفة نفسه انه قال فيه : « ما رأيت اكذب منه » !

١٦ ـ كشفنا له شدة عدائه لاهل السنة والحديث وطعنه في خطبه على منبر مسجده، في أهل التوحيد المعروفين في بلده بالسلفيين خاصة وفي أهل التوحيد السعوديين وغيرهم عامة ، الذين ينبزهم بلقب الوهابية ويصرح بتضليلهم ... الخ ويقول فيهم : « ان هؤلاء الوهابيين تتقزز نفوسهم او تشمئز حينما يذكر اسم محمد صلى الله عليه وسلم » .

١٧ ـ أثبتنا له أنه حين ينقل في تعليقاته عن الشيخين ابن تيمية وابن القيم انه انما يفعل ذلك تظاهرا بأنه من المحبين لهما ولسان حاله ينشد : وأرضهم ما دمت في ارضهم وهو يزين ما يطبع من الكتب بالنقل عن شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى ، وذكرنا شكنا وترددنا في الغرض الذي يرمي بذلك اليه وفي الوقت نفسه يكثر النقل عن عدوهما اللدود والمسمى بزاهد الكوثري ويبالغ في تمجيده والثناء عليه الى حد انه نسب نفسه اليه فهو الشيخ عبد الفتاح ابو غدة الحنفي الكوثري،

وليس هذا فحسب بل انه سمى ابنه الكبير باسم : « زاهد» تبركا به واحياء لذكره . وبينا له ان ذلك من باب الجمع بين النور والظلام ، والحق والباطل .

١٨ ــ وكشفنا ما عند أبي غدة وغيره من العداوة الشديدة التي كان الكوثري يظهرها بل ينادي بها في كتبه وتعليقاته تجاه أهل الحديث عامة وابن تيمية وابن القيم خاصة . فهو يتهمهم بالتشبيه والتجسيم ويلقبهم بالحشوية السخفاء ، ويسمي كتاب التوحيد للامام ابن خزيمة « كتاب الشرك » ويرمي الامام نفسه بأنه مجسم جاهل بأصول الدين ، وبالجمود في الفقه وقلة الفهم ، وانهم حملة أسفار ، وطعن في نحو ثلاثمائة من الرواة الثقات ، وفيهم جماعة من الحفاظ والائمة والفقهاء ، كمالك ، والشافعي وأحمد ، ويكذب ابنه عبد الله راوي « المسند » ولذلك فهو لا يراه صالحا للاعتماد عليه ، ويصف الحافظ العقيلي : ب « المتعصب الخاسر » ويقول في شيخ الاسلام ابن تيمية : « ان كان ابن تيمية لا يزال بعد شيخ الاسلام فعلى الاسلام السلام » .

وابو غدة على علم بهذا كله وهو مع ذلك يضفي عليه تلك الالقاب الضخمة « العلامة المحقق الحجة المحدث الفقيه الاصولي المتكلم النظار المؤرخ النقاد الامام » ! ! ! واستنتجت من ذلك بالاضافة الى معلوماتنا الخاصة عنه وعدم استنكاره لشيء من اقوال شيخه الكوثري في شيء من تعليقاته مع كثرة المناسبات للاستنكار ــ آنه كوثري مائة بالمائة في عدائه لاهل الحديث والسنة وشيخ الاسلام ابن تيمية ، ولم يغب عن بالي احتمال آن يكون قد تاب من تتلمذه عليه وتبنيه لضلالاته فافسحت له المجال للتراجع وطلبنا

منه ان يعلن براءته منه جملة وتفصيلا ، وقلت :

« فان فعل – وما اخاله – أخذنا بظاهر كلامه ، ووكلنا سريرته الى ربه سبحانه وتعالى » !

١٩ – وعلما مني بأنه من المحتمل ان يعلن براءته من شيخه الكوثري بلسانه أتبعت ذلك بسؤالي اياه عن سبعة أسئلة تتضمن عقيدة السلف فيها من كتاب شرح العقيدة الطحاوية الذي أثنى ابو غدة على الشارح ووصفه بالامامة المموسة ، والكوثري مخالف لهم فيها مثل قولهم في القرآن وانه غير مخلوق ، وان الله تعالى فوق مخلوقاته كلها ، وجواز السؤال بأين الله ، وان الايمان يزيد وينقص وغير ذلك مما هو مبسوط هناك . سألته عنها لاكشف عن حقيقة اعتقاده وخشية ان يخدع الناس بلسانه اعتقادا مني بما يروى عن عمر رضي الله عنه انه قال : « لست بالخب ولا الخب يخدعني » .

٢٠ – لقد أدنته بأن رفعه تقريره الجائر خلسة دون علمي او علم صديقه يومئذ صاحب المكتب الاسلامي مع التقائي واياه في المكتب المذكور مرارا وتكرارا في سنوات بعد طبع الكتاب دون ان يباحثني ويلفت نظري في اي موضوع من المواضيع التي اثارها في تقريره الجائر فيرفعه بعد سنين . حينما ظن ان الفرصة قد سنحت له ليروي غليل حقده ويشفي غيظ قلبه بالطعن في الالباني والاضرار بناشر كتابه الاستاذ زهير الشاويش انه انما يفعل ذلك الجواسيس والمخبرون .

هذا بعض ما أدنت به الشيخ ابو غدة في « المقدمة » البالغ عدد صفحاتها (٤٤) من (ص ١٣ – ٥٧) وما قبل

الصفحة (١٣) هي من مقدمة الناشر الاستاذ زهير الشاويش وترجمته للامام الطحاوي ، فماذا فعل ابو غدة في « اباطيله وافتراءاته » ؟

انه صمت تجاه كل هذا الذي دمغناه به صموت الحجر الاصم ، فلم يتعرض للجواب عنها بشيء مطلقا الامر الذي يدل كل منصف متجرد عن الهوى أن « ابو غدة » في « اباطيله وافترآءاته » أدان نفسه بنفسه حين سكت عن كل ذلك ، ولم يجب عن اي سؤال وجه اليه يكشف عن حقيقة امره وعقيدته ، ولم يتنصل بحجة ألبتة عن كل ما ادنته به من الجهل والتزوير والعداء الشديد لأهل السنة والحديث ومخالفته لهم في العقيدة آتباعا منه لشيخه الكوثري ، سوى قوله : « أفتراء صريح » ومثل هذا الدفاع الرخيص يستطيعه أشقى الناس وأفسقهم اذا ما ادينوا بما هم عليه من الضلال مقرونا بالحجة والبرهان !

جوابه عن بعض الاسئلة وبيان ما فيه من المواربة المؤكدة لكوثريته وعدائه لابن تيمية

نعم لقد تعرض للاجابة عما جاء في الفقرات الاربع الاخيرة بشيء من الشرح ولكنه في الحقيقة كان كمن يحاول ان يطعن عين الشمس ، بل هو فيه كالباحث عن حتفه بظلفه . أو كمن فر من الموت وفي الموت وقع ، واليك البيان :

أولا : أجاب عما جاء في الفقرة (١٦) قوله :

« سقوط البهتان : وأقول الذي تتقزز نفسه بذكر محمد صلى الله عليه وسلم خارج عن الملة بيقين ، ومن قال هذا في هذه الايام عن أهل هذه الديار المقدسة ، التي يدخلها كل عام مئات الالوف من حجاج العالم الاسلامي ، فقد حكم على نفسه بالجنون المطبق ... انظر (ص ٨) من

اباطيله وافتراءاته .

ثانيا : لقد أشار الى شيء مما جاء في الفقرة (١٧) مع شيء من التهويش والتضليل للقراء كعادته فقال :
« فذكروا اسمي ونسبي وبلدي ومذهبي واسم ولدي، وفاتهم ذكر بقية افراد الاسرة ... » . فأقول : ان ذكر اسم ولده انما كان لنثبت للقراء ضلاله وراء شيخه الكوثري حتى سمى ابنه باسمه ، فقوله « وفاتهم ذكر بقية افراد الأسرة ... » تهويش رخيص وتهكم يعود وباله على صاحبه . وقد اعترف في غير مكان من « كلماته » انه كوثري فالذي نسبناه اليه قد اعترف به وهذا هو المراد من ذكرنا لاسمه واسم ابنه ، فمن فمك ادينك : وقديما قالوا :
« ما فيك ظهر على فيك » !

ثالثا : لقد تأكد ظني فيه مع الاسف فلم يعلن براءته من شيخه الكوثري جملة وتفصيلا ، فانه في الوقت الذي استمر يفخر بالانتساب اليه قال (ص ٣٧) « فدعواهم اني ملتزم بكل ما يقوله الكوثري دعوى باطلة » .

وجوابه هذا يذكرني بقول الشاعر :

والدعاوي ما لم تقيموا عليها
بينات أبناؤها أدعياء

فأين الدليل على بطلان الدعوى المذكورة مع كثرة الاخطاء والضلالات التي حكيناها عن شيخك الكوثري مع تعظيمك اياه بما سبق بيانه وطلبنا منك ان تتبرأ منها فلم تفعل ، فالدعوى الباطلة هي دعواك . فلا تزال مدانا بأنك كوثري جملة وتفصيلا حتى تحقق طلبنا باعلان براءتك منه جملة وتفصيلا ، فنستريح منك ومن مناقشتك جملة

وتفصيلا ، والله حسيبك . نعم لقد جاء ببرهان على دعـواه بزعمه فقال (ص ٣٨) :

« وأقرب برهان لدفع افترائهم هـذا اني قد حشوت كتبي وتعليقاتي من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية والامام ابن القيم رحمهما الله تعالى كما اني اثنيت عليهما ... وكـان الشيخ الكوثري رحمه الله تعالى وغفر لنا وله يجافي هذيـن الامامين بحسب رأيه واجتهاده (!) فلو كنت ملتزما له بكل ما يقول لجفوتهما وتابعته في مشربه نحوهما رحمهما اللـه تعالى والواقع يثبت خلاف ذلك » ! !

والجواب عن هذا الهراء من وجوه :

١ ـ لقد جعلت الدليل على انك لست ملتزما بكل مـا يقوله الكوثري انك لا تجافي الشيخين كما كان يجافيهمـا شيخك الكوثري ، وهذا والله مهزلة الدهر ، فانك ان كنت تتظاهر الآن بأنك لا تجافيهما ، فهل ذلـك يخرجك عمـا اعترفت به من انك لا تزال كوثريا ؟! وبمعنى آخر ان الحنفي مثلا اذا خالف امامه في مسألة ما أيخرج بذلك عـن كونـه حنفيا ؟! الجواب لا ، كما هو واضح لدى جميع العقـلاء . وصرح به مخدومك ابـو الحسنات اللكنوي في « الفوائـد البهية » (١) واذن فبرهانك هذا يشهد عليك بأنك كوثري في كلما وصفنا به الكوثري من الضلال والانحراف عن السلف وأئمة الحديث . ولولا ذلك لصرحت ببراءتك من كل ذلـك كما صرحت ببراءتك منمجافاته لا سيما وقد أفسحنا لـك المجال في ذلك بطلبنا اعلانك البراءة من كل ذلك ، فهل يفسر عاقل امتناعك من الاعلان الا بأنه دليل قاطع بأنك كوثري مائة

١ـ انظر « صفة الصلاة » (ص ٣٩) .

في المائة ، والآن نقول : مائة الا واحد بعد اعترافك بتبرؤك من مجافاة شيخك للشيخين وحسيبك الله ! ولكنك بذلك لم تدفع التهمة عن نفسك بأنك كوثري لان المخالفة الواحدة لا تبرئك من النسبة اليه كما سبق بيانه ، فهل عندك من العقيدة الصحيحة والجراة العلمية ما تبين لنا تفصيلا وبخاصة عما سألناك عنه من اتهامه للشيخين وأهل السنة بالتجسيم وانحرافه عن الصحيحين وتضعيفه لكثير من احاديثهما وغير ذلك مما قلناه في المقدمة واوجزناه في هذه الفقرة . او كنت بريئا لفعلت ، فاذا لم تفعل فأنت عدو للشيخين وأهل الحديث حتى تعلن براءتك من كل مخالفات الكوثري لهم .

٢ ـ تقول انك أثنيت على الشيخين رحمهما الله تعالى : فالجواب ان مثل هذا الثناء عليهما الذي سودت صفحات عديدة من « كلماتك » في النقل من تعليقاتك على بعض الكتب مما لا يدل عند أهل المعرفة والعلم انك حسن الاعتقاد فيهما وان لا انحراف برأيك في علمهما ، وهذا هو موضع النزاع بين السلفيين امثالنا والخلفيين أمثالك، بدليل ان كل تلك الكلمات ليس فيها جملة واحدة بل ولا قطعةواحدة يستشم منها تقديرك اياهما في عقيدتهما وانهما غير منحرفين في علمهما . هذا مع ملاحظة ان عامة تلك التعليقات انما نشرتها وانت موظف في المملكة السعودية وتعيش بين قوم يعرفون فضل ابن تيمية وتلميذه ويتبعون عقيدتهما فلقائل ان يقول : ان ذلك انما صدر منك للاستهلاك المحلي ! وقد قيل فعلا .

امثلة من طعنه في ابن تيمية وابن القيم

وشيء آخر : وهو انه قد ينطلي ثناؤك على من لا علم عنده بما صدر منك من الطعن في عقيدتهما وعلمهما ولست

أحاسبك بما صدر منك في بعض خطبك في بلدك حلب ، فذلك مما يعود أمره الى غيري ممن تتهمهم بالكذب عليك ، وانما أنا سأدينك بما كتبه قلمك المنحرف عن الشيخين رحمهما الله تعالى :

١ ـ أقررت في تعليقك على كتاب « اقامة الحجة » (ص ٢٩) المؤلف على ما ذكره في ترجمة ابن تيمية انه نقل عنه عقائد فاسدة شنع عليه بها اليافعي وابن حجر المكي وغيرهما ! وليس هذا فقط بل نقلت هذه العبارة في تعليقك على « الرفع والتكميل » (ص ١٣٥) من باب التأييد لها . واذا رجع القارىء الكريم الى كلام ابن حجر المكي ، وجد فيه اتهام الشيخ ابن تيمية بكثير مما يتهمه به الكوثري كالتشبيه والتجسيم وغير ذلك مما لا مجال لذكره الآن ، مع التشنيع عليه والطعن فيه أشد الطعن في اول كلامه وآخره بمثل طعن الكوثري فيه : « والحاصل أن لا يقام لكلامه وزن، بل يرمي في وعر وحزن ويعتقد فيه أنه مبتدع ضال ، ومضل جاهل غال ، عاجله الله بعدله ، وأجازنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله ، وخذل متبعيه ، وشتت شمل معتقديه » . هذا كلامه في شيخ الاسلام ابن تيمية في« الفتاوى الحديثية» (ص ٨٦ ، ٨٧) . فمن كان صادقا في توقير الشيخ واجلاله، هل يحمل القراء على كلام الهيتمي هذا ، وفيه ما عرفت من ما سمعت من التكفير والتضليل أم ذلك مما يدل على أن المحيل عدو لدود للشيخ رحمه الله ، وذلك ما فعله قبل أبو غدة امثاله من أعداء الشيخ ابن تيمية كالشيخ محمد بخيت المطيعي في رسالة « تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد » فقد طعن فيها في ابن تيمية ما شاء له هواه ، واعتمد في ذلك على كلمة ابن حجر المكي المشار اليها في « الفتاوى » ونقلها برمتها ! !

٢ — أقر مؤلف « الرفع والتكميل » (ص ٩٠ — ٩١ و ١٣٥) وفي « الاجوبة الفاضلة » (ص ١٧٤) على حشر شيخ الاسلام ابن تيمية في زمرة المتعنتين في جرح الاحاديث بجرح رواتها وأيده بقوله : « ولشيخنا الكوثري رحمه الله تعالى : « التعقيب الحثيث لما ينفيه ابن تيمية من الحديث ما يزال مخطوطا » . واعاد هذا في تعليقه على « الاجوبة » (ص ١٧٦) :

« وقد تعقب شيخنا الامام (كذا) الكوثري رحمه الله تعالى صنيع ابن تيمية في تشدده بنفي ما هو ثابت في كتاب اسماه : « التعقيب الحثيث .. ما يزال مخطوطا » !

٣ — قال تعليقا على ما جاء في « الرفع والتكميل » (ص ١٣١) من الطعن في الامام الذهبي : « ولشيخنا الكوثري رحمه الله تعالى كلمة جامعة في حال الذهبي فقف عليها في تعليقه على رد السبكي على نونية ابن القيم المسمى « السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل » (ص ١٧٦) :

والعالم اللبيب يكفيه دلالة على صحة ما اتهمناه مما يضمره ابو غدة من العداء الشديد لاهل الحديث هذه الاحالة على كلمة شيخه في حال الامام الذهبي ، فانه يعلم قطعا انها ليست في تزكيته والثناء عليه وعلى من كان على نهجه في العقيدة كشيخه ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهم الله ، وانما في الطعن فيهم جميعا ، فهو يرمي فيها الذهبي بالتجسيم وقلة الدين وان عقليته من اسخف العقليات ... الخ ما هذى به وفي ختام ذلك يقول الكوثري :

« ومع ذلك هو أهون شرا من الناظم وشيخه كما سبق » يعني ابن تيمية وابن القيم وقال في المكان الذي اشار اليه وهو (ص ١٧٧) :

« وهو شافعي الفروع الا انه مجسم اعتقادا رغـم تبريه منه في كثير من المواضع ، وعنده نزعة خارجية ، وان كان أهون شرا بكثير من الناظم وشيخه في ذلك كله » !

ومن الواضح ان ابا غدة لا يمكن ان يدعي انـه يفرق بين الذهبي من جهة وبين ابن تيمية وابن القيم من جهـة اخرى ، لعلمه يقينا بأنهم على نهج واحد في العقيدة السلفية ولمعاداة شيخه الكوثري من أجل ذلك اياهم جميعا ، كمـا يدل على ذلك قوله السابق فيهم .

ومهما حاول ابو غدة التنصل من ذلك فان آثاره تكفر به فاسمع ايها القارىء الكريم اليه كيف يطعن في ابن القيـم ويتهمه بالتجسيم صنع شيخه الكوثري تماما ولكـن بشيء من المكر والمواربة (ولا يحيق المكر السيء الا بأهله) قال في تعليقه على « الاجوبة الفاضلة » (ص ١٣٠) :

« اما ابن القيم فمع جلالة قدره ونباهة ذهنه تراه اذا روى حديثا جاء على (مشربه) المعروف بالـغ في تقويتـه وتمتينه كل المبالغة حتى يخيل للقارىء أن ذلك الحديث من قسم المتواتر في حين انه قد يكون حديثا ضعيفا او غريبا او منكرا ولكن لما جاء على (مشربه) جمع لـه جراميذه . . . » فما هو مشرب ابن القيم عند ابو غدة ؟ هو هـذا التجسيم الذي اتهمه به الكوثري آنفا وفي غيره من كتبه وبخاصة منها تعليقه على السيف الصقيل الذي سماه : « تكملة الرد على نونية ابن القيم » ومن قوله فيه وهو ينصح القـراء (ص ٥٧) :

« واني أعيذهم بالله من احترام رجل لا يزيد عنه فـي

الخروج على الاسلام والمسلمين لا الزنادقة ولا الملاحدة » !

ولما وصف السبكي الشيخ أبا اسماعيل الهروي بقوله : « الذي تسميه المجسمة شيخ الاسلام » علق عليه ابو غدة بقوله : « وهو صاحب كتاب منازل السائرين الذي شرحه الشيخ ابن القيم بكتاب (مدارج السالكين) » . وهو يشير بذلك بمكر وخبث الى ان ابن القيم من المجسمة فقد وصف فعلا الهروي بأنه شيخ الاسلام في غير موضع من « المدارج » من ذلك (١٢٧/١) .

وكذلك وصفه الذهبي في « التذكرة » (٣٥٤/٣) فهؤلاء عند السبكي وعند ابو غدة من المجسمة لانه أقره على ذلك !

فهل بعد هذا البيان يبقى انسان في الدنيا يصدق ابا غدة فيما سود به صفحات عدة من « كلماته » في الثناء على شيخ الاسلام ابن تيمية وانه امام من كبار أئمة الدين ، وعلى تلميذه ابن القيم وانه من اجلة ائمة المسلمين !! من (ص ٢٣ ـ ٣٥) وهو يطعن فيهم تلك الطعون المتقدمة بالاضافة الى عدم تصريحه بالرد على شيخه الكوثري في تكفيره اياهما مع مطالبتنا اياه بذلك ، بل تراه حتى في كلماته لا يزال يذكره بالتبجيل والترحم عليه ، بل يعتبر تكفيره للشيخين انما هو اجتهاد منه يؤجر عليه ! (ص ٣٨) . وانت أيها القارىء اذا قابلت هذا بطعن ابي غدة في الامام البخاري وسائر ائمة الحديث الذين تكلموا في سوء حفظ ابي حنيفة ولا يدافع عنهم بمثل دفاعه عن شيخه الكوثري بل يجزم بأن ذلك انما كان تعصبا منهم عليه رحمهم الله جميعا . تبين لك انحراف ابو غدة عن اهل السنة ، الى اهل البدعة والضلالة ، والله المستعان .

امثلة جديدة من اكاذيبه وتضليلاته

ومن اكاذيبه وتضليلاته للقراء الكرام في سبيل اظهار اجلاله لابن تيمية وبراءته من الطعن فيه قوله (ص ٢٤) وقد ذكر تعليقه على كتاب « الاجوبة الفاضلة » :

« فلينظر من الصفحات التالية ، وفيها تعليقاتي واستشهاداتي بكلام شيخ الاسلام مع الاجلال والتوقير والترحم عليه كما هو الشأن في الادب مع كل عالم وامام وتلك الصفحات هي ٤٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٣ – ١٢٠ » وانت اذا رجعت الى الصفحات التي أشار اليها رأيت العجب العجاب :

١ – ليس في شيء من هذه الصفحات شيء مما زعمه من الاجلال والتوقير الا قوله (ص ٩٢) : شيخ الاسلام قالها مرة واحدة ثم لم يعد اليها ! وقد كنت علقت على قوله هذا في « المقدمة » (ص ٤٧) بما خلاصته انه يجوز انه قالها من قبيل الزلفى لاهل بلده الموقت « الرياض » ويجوز انه قاله عن اعتقاد منه فطلبنا ان يقول ذلك بأن يعلن براءته من قول شيخه الكوثري في ابن تيمية « ان كان ابن تيمية لا يزال يعد شيخ الاسلام ، فعلى الاسلام السلام » ! فلم يتبرأ منها مع تسويده صفحات لا طائل تحتها في الثناء على ابن تيمية ليبيض بذلك صفحته العاتمة وهيهات ، وكان يغنيه عن كل ذلك لو كان مخلصا ان يعترف بالحقيقة وهي انه كان مضللا ولا اقول : ضالا – كغيره من اعداء ابن تيمية الكثر ثم هداه الله وعرف فضل ابن تيمية وعلم سلامة عقيدته مما يتهمه الكوثري ، فاذ لم يفعل فقد تأكد لدينا ما كنا اتهمناه به سابقا انه يلعب على الحبلين ، فهو يريد ارضاء الجمهور الذي يعيش بينهم الآن ، كما يريد ان لا يغضب اقرانه

وزملاءه وتلامذته الذين يعلمون منه اجلاله حقا للكوثري والحقيقة انه لم يرض لا هؤلاء ولا هؤلاء .

سوف ترى اذا انجلى الغبار

أفرس تحتك ام حمار

٢ ــ لم يترحم عليه الا مرتين (ص ٤٧ ، ٧٨) !

٣ ــ وصفه في بعض المواطن ب (الشيخ) ، فذكرت في المقدمة ان هذا الوصف ليس نصا في المدح والثناء فراجعها.

٤ ــ في أكثر الصفحات التي اشار اليها ليس فيها شيء من ما تقدم ولا غيره مما يدل على الاجلال والتوقير الذي زعمه وهي الصفحات (٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٣) مع انه في بعض الصفحات ذكره اكثر من مرة كالصفحة الاخيرة فانه ذكره فيها ثلاث مرات لم يزد على قوله « ابن تيمية » فضن عليه حتى بالترحم عليه ولو مرة واحدة !

وهذا كله يبين للقارىء ان ابا غدة حينما يستكثر من الاشارة الى الصفحات تدليلا على توقيره لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ثم لا يجد في أكثرها شيئا من ذلك انما يصدق فيه قوله عليه الصلاة والسلام : « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور » . نسأل الله العافية والسلامة .

وان مما يؤكد لك ذلك انه نقل أيضا عن عدو شيخ الاسلام ابن تيمية رقم واحد الا وهو شيخه الكوثري في نحو من عدد الصفحات التي نقل فيها عن ابن تيمية ، فتراه في اكثرها يصفه بالامام وفي بعضها « شيخنا » وتارة يقول

« شيخنا الامام » وفيها كلها يضم الى ذلك الترحه عليه لم يفته ذلك ولا مرة واحدة ! وهي الصفحات (٥٢ ، ٥٩ ، ٦٩ ٧١ ، ٨٣ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ، ٢٠٣ ، ٢٢١ ، ٢٣٤) .
بل انه في الصفحة (٩٧) ذكره مرتين مع الترحم عليه في كل مرة ! وفي الصفحة (١٠٤) ذكر ابن تيمية دون أن يترحم عليه او غيره مما يدل على التوقير المزعوم ، وبعد اربعة اسطر قال : « وقد وجه شيخنا الامام الكوثري رحمه الله تعالى » ! وفي الصفحة المقابلة قال : « انتهى كلام شيخنا الامام الكوثري رحمه الله تعالى » واكثر من هذا . فانه ذكرهما في سطر واحد مترحما على الكوثري دون ابن تيمية فقال (ص ٢٧٦) : « وقد تعقب شيخنا الأمام الكوثري رحمه الله صنيع ابن تيمية في تشدده . . . » الخ كلامه الذي نقلته بتمامه (ص ٧٠) .

ومن مكره وكيده انه لم يذكر في الصفحات المتقدمة التي أحال اليها مستدلا بها على توقيره لشيخ الاسلام هذه الصفحة (١٧٦) لان ما فيها من النقل عن الكوثري يكشف عن عورته وتدل على ما يضمره للشيخ من الحقد والطعن تبعا لشيخه الكوثري عاملهما الله بعدله . ومن مكره وخبثه انه يقول في ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب (ص ١٩) في تنصله من التكفير المنسوب اليه :

« وهؤلاء ائمة اعلام من خيار المؤمنين العالمين العاملين الداعين الى الله تعالى ، ومن أراد ان يحكم عليه بالسفه والعته فليكفر أئمة الاسلام وهؤلاء السادة الأعلام ،

وهبني قلت هذا الصبح ليل

أيعمى العالمون عن الضياء »

يقول هذا وهو يعلم ان شيخه الكوثري يكفر ابن تيمية وابن القيم ويجعلهما في الخروج عن الاسلام والمسلمين كالزنادقة كما تقدم قريبا فهل تعتقد اذن أن كنت صادقا في تضليلك المذكورين ان شيخك الكوثري سفيه معتوه ! وان اعتقدت هذا فكيف تجمع في عقلك – عافاك الله منه – بين هذا التسفيه أن التزمته وبين اتخاذك اياه اماما ، وان لم تلتزم ذلك وظللت على انتسابك اليه فكيف توفق بين هذا وبين قولك السابق : « وهؤلاء أئمة اعلام ... » ومن أراد ان يحكم عليه بالسفه والعته فليكفر أئمة الاسلام ... » . اليس هذا هو النفاق والتدجيل على الناس ؟! وصدق من قال :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة

وان خالها تخفى على الناس تعلم

ومن ذلك انه سود ايضا صفحات تحت عنوان « انتصاري لشيخ الاسلام في أحرج الظروف » وحين تقرأ ما تحته من كلام ينكشف لك شيء من تعصبه على ابن تيمية واعتقاده المنحرف فيه فانه نقل كلام الشيخ التهانوي فيه الذي أساء الادب معه وهو قوله فيه :

« ومما رده ابن تيمية من الاحاديث الجياد ... حديث رد الشمس لعلي رضي الله عنه ، ولما رأى الطحاوي قد حسنه وأثبته جعل يجرح الطحاوي بلسان ذلق وكلام طلق ، وايم الله ان درجة الطحاوي في علم الحديث فوق آلاف من مثل ابن تيمية ، واين لابن تيمية ان يكون كتراب نعله ، فمثل هؤلاء المتشددين لا يحتج بقولهم الا بعد التثبت والتأمل » .

ثم ركز ابو غدة كلامه على قول التهانوي : « واين لابن تيمية ان يكون كتراب نعله » وانتقده في هذه العبارة وكتب الى التهانوي بذلك حتى رجع عنها .

فيلاحظ القارىء الكريم ان ابا غدة انما عني بناحية شكلية متوسلا بذلك الى اظهار توقيره لشيخ الاسلام ابن تيمية وعدم تكفيره اياه ، وفاته ان الاولى بانتقاده للتهانوي هو زعمه ان درجة الطحاوي في علم الحديث فوق آلاف من مثل ابن تيمية » وقوله فيه انه من المتشددين، فاعراض ابو غدة عن انتقاده في هذين الامرين لهو اكبر دليل على موافقته اياه فيهما ، ويؤيده ما سبق نقله عن ابي غدة من خشره لابن تيمية في زمرة المتشددين تبعا لشيخه الكوثري فأين ما زعمه من الاجلال والتوقير لابن تيمية وهو ينظر اليه بتلك النظرة المزرية المنحطة في الحديث ، وانه من المتشددين !؟

واعلم ايها القارىء الكريم اننا لا نستبعد ان يكون ابو غدة معظما لابن تيمية في صفة من الصفات القائمة به كزهده وعلمه في التفسير والحديث والاصول وغيرها وصبره على البلاء والمحن وعليه فما يدعيه من الثناء على ابن تيمية والدفاع عنه فهو من هذه الحيثية . وهذا بطبيعة الحال لا ينافي أنه يعتقد فيه انه ضال منحرف عن العقيدة كالتجسيم وغيره مما يتهمه به شيخه الكوثري ، فهذا شيء وذاك شيء آخر ، وقد يلمح المتأمل في كلامه شيئا من هذا ، فقد نقل ص ٢٨ ــ ٢٩ من كلماته تعليقا له في بعض الكتب في الثناء على ابن تيمية وصبره في سجنه وعقب على ذلك بقوله :

« ورحمه الله تعالى ورزقنا التأسي به فيما يلم من محن وابتلاء واعتداء وافتراء » فلم يطلب ان يرزق التأسي

به أيضا في دعوته لعقيدة السلف وحسن فهمه للشريعة ، لان ابن تيمية لا يصلح فيهما عنده قدوة للناس . وهذا ما لا يجرأ أبو غدة ان يصرح به ، ولذلك يظل يجادل ويكابر ويراوغ .

هذا آخر الرد على ما جاء في جوابه عن الفقرة (١٦) .

ثانيا : واجاب عن الفقرة (١٧) بما يدينه بما تضمنته من الاشارة الى نفاقه في أرض معاشه ، فلم ينف ذلك عن نفسه ولو بلسانه ، لانه أخذ يتهكم بتعريفنا للقراء به اسما ومذهبا ومشربا وكونه حنفيا متعصبا للكوثري فانه لم يزد على قوله تضليلا لقرائه عن الحقيقة : « فذكروا اسمي ونسبي واسم بلدي ومذهبي واسم ولدي ، وفاتهم ذكر بقية أفراد الاسرة » . فهو بذلك يضلل القراء الذين لم يسبق لهم ان اطلعوا على « المقدمة » والقصد الذي حملنا على ذكره بما هو متصف به من نسب ومذهب ومشرب على سبيل التعريف بكاتب ذلك التقرير الجائر .

أسلفي وكوثري ؟!

ثالثا : واجاب عن الفقرة (١٨) بأنه ليس كوثريا مائة في المائة ! ويستدل على ذلك بأن الكوثري كان يجافي (كذا قال ولا يقول : يكفر) ابن تيمية وابن القيم بحسب رأيه واجتهاده (كذا قال عامله الله بما يستحق) ثم قال :

« فلو كنت ملتزما بكل ما يقول لجفوتهما وتابعته في مشربه هذا نحوهما » !

أما طعن الكوثري في أئمة الحديث وفيهم ابن تيمية وابن القيم واتهامه اياهم بالتجسيم وتلقيبهم بالحشوية السخفاء وبالجمود في الفقه والفهم وانهم حملة أسفار وطعنه في الرواة الثقات وفيهم جماعة من الحفاظ والائمة الفقهاء

كمالك والشافعي واحمد وتكذيبه لعبد الله بن احمد ... الخ ، مما سبق ذكره في الفقرة المذكورة فكل هذا لم يقل ابو غدة انه ليس مع شيخه الكوثري فيها مع الحاحنا عليه بالتبرؤ منه جملة وتفصيلا ثم مع ذلك هو لم يقل ولم يتبرأ الا من مجافاته لابن تيمية وابن القيم فكل ذي لب يشهد والحالة هذه ان ابو غدة لا يزال كوثريا في الامور الاخرى وما اكثرها وواحدة منها كافية للحكم على ابو غدة بالضلال والخروج عن الفرقة الناجية اذا لم نقل بسقوطه في ساحة الكفر المستوجب الخلود في النار وبئس القرار . لا سيما وهو يتبجح في « كلماته » فيقول (ص ٣٨) :

« ... وأترك ما اراه بعيدا عن القبول ولو صدر من اكبر من الشيخ الكوثري » .

واذا كان ابو غدة صادقا في قوله هذا ثم هو لم يتبرأ من تلك المفاسد العديدة المضللة لصاحبها ، اليس ينتج من ذلك ان ابو غدة مؤمن بها لانه لم يعرض عنها لا سيما وقد طلبنا منه ذلك لاننا لا نعاديه لشخصه وانما نريد الهداية له كغيره ، ولذلك افسحنا المجال له للتراجع فلم يفعل فعلى نفسها جنت براقش .

رابعا : لم يتعرض للاجابة عن هذه الفقرة (١٩) مباشرة بل حاد عن ذلك لكي لا ينكشف تدجيله للقراء متناسيا قول الله تعالى (والله مخرج ما كنتم تكتمون) فانه قال تحت عنوان « اقوالي في ابن القيم » قال (ص ٣٦) :

« واني بحمد الله تعالى وفضله ادين الله تعالى في مقاما لعقيدة بعقيدة السلف رضي الله عنهم فأقول بعقيدتهم في الاسماء والصفات ، وأثبت لله سبحانه ما أثبته لنفسه

وما اثبته له سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تأويل ولا تحريف ولا تشبيه ولا تمثيل (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) » .

فأقول والله المستعان :

١ ـ أسلفي وكوثري ؟! فهذان ضدان لا يجتمعان فكيف يصر ابو غدة على كونه كوثريا في المسائل التي كنا شرحنا القول فيها في المقدمة وأشرنا اليها فيما سبق وطلبنا منه فيها ان يتبرأ منها فلم يتبرأ ثم هو يعلن هنا انه سلفي العقيدة ! أليس هذا من الادلة التي تؤيدنا في وصفنا اياه بأنه « يلعب على الحبلين » فهو مع سلفيي العقيدة سلفي ، ومع الكوثريين كوثري ! تالله ان هذا لشيء عجاب ! ولو ان الكوثري نفسه كان حيا لتبرأ منك لجمعك بين النقيضين ولعبك على الحبلين واني لاشهد له على ضلاله أنه خير منك في صراحته ، وبعده عن مثل هذا النفاق المكشوف ! !

٢ ـ اني لاسألك هل تتصور مسلما سواء كان سلفيا ام خلفيا ماتريديا أم أشعريا ، ودوبنديا ام كوثريا يتجرأ ان يقول خلاف هذا القول المعسول الذي قلته لاثبات كونك سلفي العقيدة ؟ كل المسلمين يقولون مثل قولك هذا حتى شيخك الكوثري على ضلاله الكبير لا يسعه أن يقول غير ذلك ـ مع طعنه في حماة عقيدة السلف ـ والا لو قال غير ذلك لانكشف الغطاء ، فاذن ما هو الفرق بين السلف والخلف في ذلك ؟ والجواب

مذهب السلف في الصفات وموقف الدعاة اليوم فيه

١ ـ السلف يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه في

كتابه او أخبر به نبيه صلى الله عليه وسلم ويؤمنون بذلك انه كما وصف به نفسه حقيقة من غير تأويل ... الخ في هذه الصفة المميزة للسلفي على غيره من الخلفيين فان هؤلاء على قسمين : قسم مفوضة يؤمنون بألفاظ الآيات واحاديث الصفات دون الايمان بحقائق معانيها اللائقة بالله تعالى . وهذا هو الذي عليه الآن كثير من الخلفيين الذين لم يدرسوا عقيدة السلف او درسوها ولم يفهموها او فهموها ولم يهضموها ولم يؤمنوا بها .

ويغلب هذا على الذين يتظاهرون بأنهم من الدعاة الى الاسلام (وفاقد الشيء لا يعطيه) وبعضهم يزعم أن هذا هو مذهب السلف جهلا او تجاهلا ومنهم الكوثري شيخ ابو غدة كما صرح بذلك في تعليقه على « الاختلاف في اللفظ » لابن قتيبة (ص ٣٠) .

وقسم مؤولة معطلة ينكرون حتما بعض صفات الله تعالى باسم التأويل وتحريف الكلم عن مواضعه ، ومنهم شيخك الكوثري بل هو حامل راية هذا الانحراف في العصر الحاضر . وانت حين قلت : « من غير تأويل ولا تحريف .. » قد اخرجت نفسك – ولو بلسانك والله حسيبك وسائلك عما في قلبك – من هذا القسم الاخير ، ولكنك لم تخرج نفسك ان تكون من المفوضة الذين وقف ايمانهم عند الالفاظ دون المعاني ! فيا ترى هل تعمدت أن لا تضم الى كلامك السابق كلمة « حقيقة » لكي تضلل القراء ، ويشهدوا لك بأني سلفي ! أم انك انت نفسك لا تدري الفرق بين القسمين المذكورين ؟!

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة
وان كنت تدري فالمصيبة أعظم

ويشهد الله انه ليسرني ويسعدني ان تكون مخلصا في تصريحك هذا الذي تنكر فيه التأويل الذي كان شيخك الكوثري قد دان به ، فأودى به أن اخرجه عن طريقة السلف مئة في المئة ، بل وحمله على الطعن في عقيدة السلف وعلى تأويل كلماتهم التي تخالف مذهبه في آيات واحاديث الصفات ، ولم لا يؤول كلماتهم وهو يؤول كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ؟!

ولا استبعد ان يكون تصريحك بما تخالف فيه شيخك الكوثري من التأويل ، انما استفدته من مخالطتك للعلماء النجديين الذين هم من أعلم الناس اليوم بهذه العقيدة السلفية .

ولكن بقي عليك شيء هام وهام جدآ ، وهو أن يكون ايمانك بعقيدة السلف ايمانا حقيقيا ليس فقط لا تأويل فيه بل ولا تفويض ايضا ، وهذا ما أجزم أنك بعيد كل البعد عن الايمان به ، لانك لو كنت مؤمنا حقا لبادرت الى الاجابة عن الاسئلة السبعة المشار اليها في هذه الفقرة واكثرها متعلقة بالعقيدة عقيدة السلف وحينئذ فلا فائدة كبرى من انكارك التأويل لانك لم تؤمن بما يقابله وهو الايمان بصفاته تعالى حقيقية كما يليق به عز وجل . فقولك اذن :

« فأقول بعقيدتهم في الاسماء والصفات » .

اما انه من قبيل (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) او من قبيل قول المنافق حين يسأل في القبر عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لا ادري اقول كما يقول الناس » فأنت سمعت علماء نجد الموحدين ينكرون التأويل فقلت بقولهم دون أن تفهم لازمه وهو الايمان بالصفات

حقيقة لا تأويل ولا تفويض .

ومن أين لابي غدة ان يدري العقيدة السلفية وقد عاش حياته في أحضان اكبر عدو لهما في العصر الحاضر وتتلمذ عليه حتى أنتسب اليه فخورا فهو « الحنفي الكوثري » باعترافه ! !

ولذلك فنحن لا نزال نطالب بالحاح بأن تجيب على الاسئلة السبعة جوابا صريحا لا مواربة فيه ولا مخادعة ، وتعلن انك بريء من الكوثري جملة وتفصيلا وانك لا توافقه في كل ما أخذناه عليه من المطاعن في « المقدمة » (ص ٢٤ ـ ٤٦) وغيرها كثير وتنتفي من أنتسابك اليه صراحة . فان كل أحد يعلم انك اذا تبرأت منه لم تتبرأ من الاسلام وانت تشهد الشهادتين وما تستلزمان من العقيدة الصحيحة ما دمت تقول انك تقول بعقيدتهم ، فأجب عما سئلت ، واعلن براءتك من كوثريتك ليكون أحبابك واعداؤك على بينة من آمرك ، والسلام على من اتبع الهدى .

خامسا : واما ما يتعلق بالفقرة (٢٠) فان المسكين لم يصنع شيئا سوى انه نقل من « المقدمة » ما كنت ذكرته في خاتمتها عن « التقارير التي يقدمها الجواسيس والمخبرون » دون ان نسمي احدا ولكنه عرف نفسه فقال عقبه :

« انتهى كلامهم بالحرف الواحد . وهم يعنوني بهذا كله » .

فأقول : عرفت فالزم ، ثم اندم على ما « يداك أوكتا ، وفوك نفخ » ! (١) واما ما تضمنته الفقرات التي قبل هذه

١ ـ مثل معروف يضرب لمن يجني على نفسه ونحوه قولهم : « منك الحيض فاغسليه » !

من الاشارة الى ما في المقدمة من العلم والنقــد الصحيـح والالزام ، وغير ذلك من الحقائق ، فلم يتعرض لهما ابـو غدة بذكره مطلقا لا اعتراضا ولا اعترافـا ، متناسيـا ان الاعتراف بالحق والرجوع عن الخطأ فضيلة . الامر الـذي يذكرنا بالمثل الشامي : « هو كالصوفي لا بينكر ولا بيوفي » ! وبالمثل العربي القديم : « تلدغ العقرب وتصيء » : تصيح ! و « ان عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضرة » !

رابعا : بهت جديد واستعداء غير شريف :

لم يكتف ابو غدة بكل تلك الافتراءات والطعنات التـي وجهها الي في تقريره الجائر التي رددتها عليه في « المقدمة » ردا لم يستطع الجواب عليها البتة كما عرفت من هذا الـرد على « كلماته » بل انه عاد الى بهت وحقد جديـد ، ممـا يذكرني بما في الامثال : قيل للشقي هلم الى السعادة فقال : حسبي ما أنا فيه !

ذلك انه بعد ان يئس من تحريك المسئولين هناك ضد تعليقات الالباني وتخريجه لشرح الطحاوية عاد يفتش فـي كتب الالباني الاخرى لعله يعثر فيها على زلة يتشبث بهـا ـ كالغريق يتعلق ولو بخيوط القمر ! ليبني عليهـا قصـورا وعلالي ، وقد وجد في بعضها كلمات فيها تذكـير للمسؤولين هناك ببعض الامور المنكرة التي تقع في المدينـة المنـورة ، ليبادروا الى تلافيها قبل ان يتسع الخرق على الراقـع . فاعتبر ذلك ابو غدة تنديدا ونيلا مـن العلمـاء والمسؤولين هناك ليتقرب بذلك اليهم نفاقا منه على حساب قلب الحقائق (والله يشهد أن المنافقين لكاذبون) كيف لا وكل مسلم يعلم قوله صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة للـه ولكتابه

ولرسوله، ولائمة المسلمين وعامتهم »، فأبو غدة يتجاهل هذا الحديث مع النصوص الاخرى من الكتاب والسنة التي توجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح لائمة المسلمين وعامتهم ، ويجعل ذلك طعنا في الائمة ، ويستعديهم علي زاعما انني نددت بهم فيقول بعد أن توسل اليهم باطرائهم والثناء عليهم بما يعلم اصحابه وتلامذته قبل غيرهم انه يقول بلسانه ما ليس في قلبه فانه بعد ان عاد الى الاشارة الى المقدمة وما فيها من الاوصاف التي كشفنا فيها اتصافه بها والى الطعن في كاتبها وناشرها بقوله :

« أولئك الذين يدعون السلفية والغيرة على العقيدة لمنافع وغايات شخصية وهم أشد الاعداء لما يدعون » ؟

هكذا فليكن قلب الحقائق ، ابو غدة الكوثري سلفي ، والالباني واخوانه السلفيون المعروفون بذلك منذ ثلث قرن من الزمان أو اكثر ، هم اشد الاعداء لما يدعون وليس هو الكوثري وتلميذه الكوثري ! تالله لقد حق فيه قول من قال : « جاء بقرني حمار » .

قال ابو غدة الكوثري بعد ذلك تحت عنوان : استغلال للسلفية وتهجم عليها : « نشروا في بعض كتبهم ما نالوا به من العلماء والمسئولين في هذه المملكة الكريمة التي قامت على العقيدة وحمايتها ورعايتها ونشرها وما تزال هي الحامية الراعية لها ، وتضع في سبيل نشرها والدعوة اليها والذود عنها كل امكاناتها . قالوا في كتاب « حجة النبي صلى الله عليه وسلم (ص ١٤٥) منددين بالمملكة العربية السعودية الموقرة والعلماء والمشايخ المعروفين فيها ما أضعه بالحرف الواحد بين قوسين : « ان دولة التوحيد بدأت

تتهاون بالقضاء على ما ينافي توحيدها الذي هو رأس مالها ، والمشايخ وجماعة الامر بالمعروف هيئة ! آلا ما شاء اللـــه » انتهى كلامهم .

فانظر ايها القارىء الكريم الى هذا الكوثري الاتـــب الاخسر بحق كيف يقلب الحقائق فيجعل المعروف منكـــــرا والمنكر معروفا ، فبدل ان يضم صوته الى صوتي ويذكـــر تذكيري بضرورة محاربة ما بدأ يظهر من الشركيات والوثنيات اذا به يعتبر تذكيري هذا تنديدا بالحكام والعلماء السعوديين!
فأنا انما قلت ما نقله عني تعليقا على احدى البـــدع

التي سردتها في آخر « حجة النبي صلى الله عليــه وسلم » وهي : « ١٢٣ ـــ ربط الخرق بالمقام والمنبر لقضاء الحاجات» فقلت تعليقا عليها :

« هذه الظاهرة قد تضخمت في الآونة الاخيرة تضخما لم يكن فيما سبق مما يدل على ان دولة التوحيد . . .»الخ.
فتأمل كيف حذف الكوثري هذه الجملة التي تـدل القارىء على السبب الذي دفعني الى تذكير الدولة بالتهاون المذكور عسى ان تعالج الامر بما يلزم من حزم وعزم ، فاعتبر تذكيري هذا ونصحي للدولة وعلمائها طعنا فيهم !

أليس يدل صنيع ابي غدة هذا على انه يغار فيما يظهر على المملكة السعودية وعلمائها اكثر مما يغار على شرع الله ، على افتراض ان غيرته خالصة منه لهم ، ولم ذلـك يا ترى ؟ الجواب واضح عند القراء ، ومع ذلك فحسبي ان اعتقد ان الحكماء والعلماء والمشايخ المخلصين منهم لا يشاركون « ابو غدة» في هذه الطعنة بل يعتقدون بأنني قمت بشيء مما يجب

علي من التنبيه والتذكير وهم يقدرون ذلك ، كما صارحني به بعضهم ، وأن كان اعداء التوحيد يستغلون مثل هذا ويحاولون اثارة الحكام علينا هناك (والله غالب على امره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

وليت شعري ماذا يريد أبو غدة من استعدائه الحكام هناك علينا ، فلو أنني كنت موظفا مثله عندهم لقيل: انه يسعى الى الاضرار بك بطردك من وظيفتك ـ وقطع الرزق عنك ، ولكن وأنا أعيش في سورية اكسب رزقي بكد يميني وعرق جبيني فماذا يبغي ابو غدة من ذلك الاستعداء ؟ لم يبق الا ان يقال يبغي بذلك منعك من الحج والعمرة الذي اعتدته كل سنة غالبا منذ بضع سنين ، فليتأمل القارىء في صنيع هذا الاتب الذي تبجح في « كلماته » بقوله : « وسلوكي مكشوف ، وخلقي معروف » !

وقبل ذلك رضي بأن ينشر عنه بعض اخوانه تلك التزكية التي جاء فيها: « جمع الى علمه الفزير التقوى والخشية من الله في السر والعلن (!) ، فهو وقاف عند حدود الله لا يتعداها ، مبتعد عن الشبهات والمكروهات (!) ما عرف عنه قط انه أمر بمعروف الا وطبقه على نفسه (!) ومن يعول (!) ولا نهي عن منكر الا وقد اجبته هو ومن يعول (!) » (١) .

فهل يستعدي ذاك الاستعداء من قام فيه بعض هذا الثناء ام هو النفاق المتحكم في الشيخ نفسه وبعض تلامذته؟!

---

١ ـ بعض ما جاء في نشرة نشرها ابو غدة يمدح نفسه ، انظر « مقدمة شرح القصيدة الطحاوية » (ص ٤٨) . وقد تجذب التعريج عليها في « كلماته » .

ثم قال ابو غدة هداه الله واماط عنه بغضه وحقده :
« وقالوا في هذا الكتاب أيضا (ص ١٥١) منددين بالمسؤولين عن المسجد النبوي واصفين لهم بمسايرة الاهواء وضعف الايمان وغلبة الهوى :

« .. ولقد تحدثت مع بعض الفضلاء بضرورة الحيلولة بين هؤلاء الجهال وما يأتون من المخالفات ، ولكن المسؤول الذي يستطيع ذلك لم يفعل ، ولن يفعل الا ان يشاء الله ! ذلك أنه يساير بعض أهل المدينة على رغباتهم واهوائهم ، ولا يستجيب للناصحين من أهل العلم ، ولو كانوا من أهل البلاد ! والى الله المشتكى من ضعف الايمان ، وغلبة الهوى ، الذي لم يفد فيه حتى التوحيد ! لغلبة حب المال على أهله الا من شاء الله وقليل ما هم ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول : فتنة امتي المال » . انتهى كلامهم » .

قلت : هذا النص كسابقه في الدلالة على انني ذكرت المسؤولين هناك بما يقع في المسجد النبوي من المنكرات ، ولكن ابو غدة على عادته في قلب الحقائق يعتبر ذلك تنديدا بالمسؤولين ومن هنا عرفت السبب في كون ابي غدة استطاع ان يستمر موظفا عندهم نحو عشر سنين مع انهم في العقيدة سلفيون وهو حنفي ! وذلك بتزلفه لديهم ، ومنافقته اياهم ، بينما غيره لم يطل مكثه لديهم الا ثلاث سنوات مع اعتقادهم فيه انه سلفي ، وما ذلك الا لنصحه وتذكيره مع تقصير لا يخلو منه انسان ، وذاك متفوق في ترك النصح والتذكير ليحظى منهم ب « عدد من القرش ليملأ به الكرش ! » .
وقبل ان انتقل بالقراء الى فقرة اخرى اريد ان الفت النظر الى تمام الكلام الذي تعمد ابو غدة حذفه في اول

الكلمة السابقة التي نقلها عن كتابي واشار اليه بثلاث نقط في أولها « ... » أقول تعمد ابو غدة حذفه لغاية معروفة لا تخفى على القارىء وهو قولي تعليقا على البدعة : ١٤٧ ـ قصد الصلاة تجاه قبره صلى الله عليه وسلم :

« لقد رأيت في السنوات الثلاث التي قضيتها في المدينة المنورة (١٣٨١ ـ ١٣٨٣) استاذا في الجامعة الاسلامية ، بدعا كثيرة جدا تفعل في المسجد النبوي ، والمسؤولون فيه عن كل ذلك ساكتون ، كما هو الشأن عندنا في سورية تماما .

ومن هذه البدع ما هو شرك صريح ، كهذه البدعة ، فان كثيرا من الحجاج يتقصدون الصلاة تجاه القبر الشريف، حتى بعد صلاة العصر في وقت الكراهة، ويشجعهم على ذلك انهم يرون فيجدار القبر الذي يستقبلون محرابا صغيرا من آثار الاتراك ينادي بلسان حاله الجهال الى الصلاة عنده ، زد على ذلك أن المكان الذي يصلون فيه أنما هو سدة مفروشة بأحسن السجاد ، ولقد تحدثت مع بعض الفضلاء ... » الخ .

فهل في هذا الكلام الا تذكير المسؤولين هناك بما يجب عليهم من السعي لازالة هذه المنكرات من المسجد النبوي مما لا يرضاه هو نفسه صلوات الله وسلامه عليه ، قبل ان يستفحل الداء ويعز الدواء . ونحو ذلك قوله تحت عنوان : « تطاول على المسؤولين » :

مثال جديد لكذبه في النقل

« وقالوا في هذا الكتاب ايضا ص ١٥٦ في معرض انتقادهم على انشاء حكومة المملكة العربية السعودية الموقرة

جدارا على قبور شهداء أحد لمنع الدخول والتمسح بهـــا ، مدعين قرب عودة مظاهر الوثنية الى ارض دولة التوحيد في ظل الحكم السعودي القائم ، قالوا مـــا اضعه بالحـرف الواحد (!) بين قوسين :

« كانت الارض التي فيها قبر حمزة وغيره من شهداء أحد لا بناء عليها الى السنة الماضية ١٣٨٣ هـ ولكن الحكومة السعودية في هذه السنة اقامت على ارضهم حائطا مبنيـــا بالاسمنت ، وجعلت له بابا كبيرا من الحديد مـــن الجهـة القبلية ، ونافذة من الحديد في آخر الجدار الشرقي فلمـــا رأينا ذلك استبشرنا شرا ! وقلنا : هذا نذير شر ! ولا يبعد ان يكون توطئة لاعادة المسجد والقبب عـــلى قبورهم ، كما كان الامر قبل الحكم السعودي الاول ، حين كـان القـــوم متحمسين للدين ، عاملـــين بأحكامـــه ، وهـــذا أول الشر . واذا استمر الامـــر على هـــذا المنوال مـــن التساهـــل فـــي تطبيق الشرع ، والتجرؤ على مخالفته ، فلا استبعدان تعود مظاهر الوثنية الى ارض دولة التوحيد كما كان الشأن قبل حكمها » انتهى كلامهم وفيه تهجمهم على علمـــاء المملكـــة وتطاولهم على المسؤولين فيها » . أقول وبالله المستعان فان اصعب شيء مناقشة من لا يخشى الله ، ويكابر حتى يقول : عنزة ولو طارت فان :

قوله : ما أضعه بالحرف الواحد . كـــذب مكشوف فقد حذف من كلامي جملا لغاية التضليل واثبات التهجـم المزعوم .

ا ــ قلت بعد قولي عاملين بأحكامه : « واللـــه غالب على امره . وهذا اول الشر ، فقد رأيت الخرق على النافذة

تتكاثر ، ولما يتكامل بناء الحائط ، وقيل لي : أن بعضهم صاروا يصلون داخل البناء تبركا ، واذا استمر الامر على هذا المنوال . . . » واذا علمت هذا الكلام المحذوف يتبين لك ان « ابو غدة » لايزال يحرف الكلم عن مواضعه شأن الذين قال الله فيهم (يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به) فانه بالحذف المذكور حرف المعنى عن القصد الذي رميت اليه بتمام الكلام فان اسم الاشارة في قولي (هذا اول الشر) انما يعود الى ما رأيته من الخرق على النافذة . وعلى حذفه المذكور يعود الى ما سبق ذكره من بناء الحائط على المقبرة !

٢ ـ قوله : انتهى كلامهم وفيه تهجمهم . . . فيه كذبتان بل ثلاث :

الاولى : ان الكلام لم ينته ، بل قد جاء في آخره ما نصه :

« ثبت الله خطاها ، ووجهها الى العمل بالشرع كاملا، لا تأخذها في الله لومة لائم ، وهو المستعان » . وحذفه لهذه الجملة من أبين التحريف لانه لو أثبتها لانكشف افتراؤه للقراء بداهة ، ولذلك حذفها تضليلا للقراء وبهتا للابرياء ، فعليه من الله ما يستحق وهذه الجملة لاكبر دليل على اننا نريد النصح بهذه الكلمات للدولة السعودية وحكامها ولا نريد النيل والطعن منهم كما يريد ان يقول هذا الافاك الاثيم .

الثانية : قوله : كلامهم ، فان هذا كلامي وحدي ، والناشر لا يتحمل مسؤوليته لو كان خطأ وكذلك غيره . فهو من تضليله ايضا للقراء كما شرحته من قبل .

الثالثة : قوله : تهجمهم فانه كذب مزدوج ، فانه لا لا تهجم مطلقا ، انما هو النصح والتذكير ، ولو فرض انه تهجم ، فعلي وحدي مسؤليته لا علاقة للناشر ولا لغيره به .

٥ ــ تكراره الاتهام بالطعن في المذاهب والرد عليه فيه وفي زعمه انها هي الشرع !

هذا وكأن ابو غدة يشعر في قرارة نفسه ان هذه التهمة التي حاول الصاقها بي لاستعداء الحكام هناك علي سيعود عنها فاشلا ان لم تكن سهما في نحره ، ولذلك سلك سبيلا اخرى كان قد طرقها من قبل اشاعة بلسانه ، والآن يعود اليها اذاعة بقلمه فكشف بذلك عن نواح اخرى من جهله بالاسلام وعديد من الاتهامات الاخرى .

وبذلك يكون كالباحث عن حتفه بظلفه ، والحافر لقبره بنفسه ، فبعد ان نسب الي انني اعتبرت انتسابه الى المذهب الحنفي مجالاً للانتقاص من ابو غدة ، وهذا كذب ايضا قال تحت عنوان : « طعنهم في المذاهب الاربعة » :

« وما كان لي أن استغرب ذلك منهم ما داموا يعتقدون الانتساب الى اي امام من أئمة المذاهب المتبعة سبة وعارا يوصم به المنتسبون الى تلك المذاهب فقد قرنوا المذاهب المتبعة بالانجيل ، وأخرجوها عن دائرة شرعنا وعن الكتاب والسنة وزعموا انها غيرهما ، نعم زعموا انها غير الكتاب والسنة ، فما ادري ماذا يعنون !؟ وماذا ــ من وراء ذلك ــ يقصدون ؟!

فهذا قولهم في حاشية « مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري » المطبوع في الكويت الطبعة الاولى والثانية جميعا في الجزء الثاني منه في (٣٠٨) بالحرف الواحد :

« ... ان عيسى عليه السلام ــ أي عند نزوله ــ يحكم بشرعنا ، ويقضي بالكتاب والسنة لا بغيرهما من الانجيل أو الفقه الحنفي ونحوه » انتهى قولهم بالحرف الواحد » . وهيهات أن يغطوا ما صدر منهم بأي تأويل او تعليل ؟! وقد أفاد قولهم هذا : ان (الفقه الحنفي ونحوه) ليس من شرعنا وليس من الكتاب والسنة » .

بيان ما في كلامه على « حاشيــة مختصر مسلم »

من الكذب والضلال

أقول : في هذا الكلام من الكذب والضلال ما لا يصدر من انسان يحترم دينه وعقله ، بل يحترم اخوانه واصدقاءه واليك البيان :

أولا : لقد أثبتنا فيما تقدم كذبه فيما نسب وينسب الينا من الطعن في المذاهب واننا نعتبر الانتساب اليها سبة وعارا ، فهذا كذب جهارا ، وقد سبق بيان ذلك مفصلا فلا نعود اليه ، وان جعل هذا الضال اعادة التهمة في ذلك ديدنه ، فالله حسيبه .

ثانيا : قوله : « واخرجوها (اي المذاهب) عن دائرة شرعنا وعن الكتاب والسنة وزعموا انها غيرها » .

موقفنا من المذاهب

فأقول : هذا كذب ايضا بهذا الاطلاق ، ولا يقول بذلك مسلم على وجه الارض اذ من المعلوم ضرورة ان في المذاهب كثيرا وكثيرا جدا من المسائل المتفق عليها بين المسلمين ، ولها أدلتها من الكتاب والسنة وفي كل منها مما اختلفوا فيه كثير من الصواب الذي ترجح بدليل من الكتاب والسنة . ولكن في مقابل هذا كثر من المسائل في كل مذهب مما قام

على الاجتهاد والرأي ، ودلت السنة على خطئها ، فالمخطىء فيها مأجور اجرا واحدا ، ولذلك لما جمع العلامة ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى المسائل التي خالف مذهب كل واحد من الائمة الاربعة الحديث الصحيح انفرادا واجتماعا في مجلد ضخم ذكر في اوله ان نسبة هذه المسائل الى الائمة المجتهدين حرام وانه يجب على الفقهاء المقلدين لهم معرفتها لئلا يعزوها اليهم ، فيكذبوا عليهم (١) . من أجل ذلك صح عن الائمة الاربعة رحمهم الله تعالى النهي عن تقليدهم ، والامر بالرجوع الى الكتاب والسنة كما هو مفصل في أول كتابي « صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم » وغيره ، وفيه بيان الموقف الوسط الذي ينبغي على المسلم ان يقفه تجاه الائمة رحمهم الله تعالى ، وابو غدة على علم بذلك ، ولكنه يكابر على عادته وينسب الي ما هو نفسه على علم ببطلانه فالله حسيبه .

من أجل هذا النوع من المسائل المخالفة للسنة لدى كل مذهب في المذاهب الاربعة فضلا عن غيرها لا يجوز القول بأنها هي الكتاب والسنة ، وانها بكل ما فيها من تفاصيل وأخطاء هي من شرعنا . واذا كان الامام ابن دقيق العيد يحرم كما سبق نسبة هذه المسائل الى الائمة الاربعة ، فكيف يجوز نسبتها الى الشرع الاسلامي ؟!

ولذلك برأت عيسى عليه السلام أن يحكم بمذهب من المذاهب حين قلت تعليقا على قول الامام ابن ابي ذئب الراوي لحديث : « كيف انتم اذا انزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم » قال ابن ابي ذئب مفسرا له :

« فأمكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم » فقلت تعلقيا عليه :

---

١ ـ « ايقاظ الهمم » للشيخ صالح الفلاني رحمة الله عليه .

« هذا صريح في ان عيسى عليه السلام يحكم بشرعنا ، ويقضي بالكتاب والسنة ، لا بغيرهما من الانجيل ، أو الفقه الحنفي ونحوه » .

وأشرت فيه بذكر الانجيل الى الرد على النصارى الذين يزعمون ان عيسى عند نزوله لا يحكم بالقرآن ، وانما بالانجيل ، وبذكر الفقه الحنفي الرد على بعض متعصبة الحنفية الذين يجزمون بأن عيسى عليه السلام سيحكم بالمذهب الحنفي . وقصدت بقولي : « ونحوه » دفع ما قد يخطر في بال بعض متعصبة الحنفية ان ذكري للفقه الحنفي دون غيره ، انما هو تعصب مني عليه وميل الى غيره فقلت : « ونحوه » تسوية بينه وبين المذاهب كلها في ان عيسى لا يحكم بشيء منها ، وانما بالكتاب والسنة فقط ، وما كان ليخطر في البال ان يستغل هذا الكلام الموجز مثل هذا الاستغلال الرخيص الذي صدر عن ابو غدة سابقا ولاحقا ، اما سابقا ، فذلك حين تم طبع الكتاب في طبعته الاولى ، فانه أقام الدنيا واقعدها ، باشاعته بين الناس ان الالباني يطعن في المذاهب الاربعة وانه لا يجوز الانتساب اليها كما لا يجوز الانتساب الى الانجيل ، ونحو ذلك من الزور الذي أفصح عنه الآن كتابة في « كلماته » فكم من شخص سألني عن هذه الاشاعة ، فكان جوابي تجاهها : سبحانك هذا بهتان عظيم ، ولما عرفنا يومئذ أن مصدرها أبو غدة سارعت الى كتابة استدراك ضمنته الرد على هذه الاشاعة وابطالها ، مع الاشارة الى ان الذي تولى كبرها هو أحد متعصبة الحنفية ووضحت فيه هذا التعليق الوجيز بنحو ما بينه الناشر للطبعة الثانية في مقدمته للطبعة الثانية ، وارسلت الاستدراك الى وكيل الناشر الاول ، والقائم على طبع الكتاب في بيروت يومئذ لكي يطبع الاستدراك ويلحقه

بالكتاب قبل توزيعه ، اتبعت ذلك ببرقية ارسلتها الى الناشر وهو في الكويت راجيا ان لا ينزل الكتاب في الأسواق قبل ان يأتيه الاستدراك مطبوعا ليلحق بالكتاب ، واردفتها بخطاب أرسلته اليه مفصلا للامر ، ولكن الكتاب وزع ، دون الاستدراك ! وقد قيل ان السبب ان ابا غدة صديق ذاك الوكيل ، وكان يتردد عليه حينذاك فأطلعه على الاستدراك ، فأوعز اليه بعدم نشره . فكان له ما أراد . وبعد أشهر لقيت الناشر فسألته عن سبب عدم نشر الاستدراك فأجاب بجواب لا طائل تحته ، ولا ادري حتى اليوم ماهي نسبة المسئولية التي يتحملها لعدم طبع الاستدراك المذكور .

ثالثا : ومن العجائب ان الناشر المشار اليه هو من اصدقاء أبو غدة الحميمين ، ولا يزال يبيع له كتبه على ما فيها من طعن في الائمة في مكتبته في الكويت حتى اليوم . وابو غدة يعلم يقينا انه هو الناشر ، ومع ذلك فهو يحمله ، أيضا مسئوليةقولي على الحاشية باشراكه معي في اكذوبته المعتادة : « قولهم » ، والقائل انما هو انا فقط ، وليس للناشر او الطابع اي علاقة به فانظر اليه كيف يقول : « فهذا قولهم في حاشية « مختصر مسلم ... » المطبوع في الكويت ... » فانه في العادة يعني بمثل هذا اللفظ : « قولهم » المؤلف والناشر له كتبه وهو الاخ زهير الشاويش « صاحب المكتب المعروف » ! فغلبته عادته الجائرة فعنى معي غيره من الناشرين ، الا وهو الناشر الأول الكويتي المصري وهو من اصدقائه الحميمين كما ذكرنا فأضر به وهو لا يشعر ، مما يذكرني بالمثل المشهور : « عدو عاقل خير من صديق جاهل » !

رابعا : قوله « المطبوع في الكويت في الطبعة الاولى والثانية » تضليل مقصود منه ، فانه يعلم انه طبع في بيروت

الطبعة الاولى والثانية ، وقد صرح بذلك الناشر للطبعة الثانية الاخ الشاويش في مقدمة الطبعة الثانية ، وأبو غدة على علم بها كما هو صريح قوله هذا وغرضه من هذا التضليل صرف الناس عما نسب اليه من السعي لدى القائم على الطبعة الاولى في بيروت بعدم طبع الاستدراك المشار اليه آنفا .

خامسا : قوله : « وهيهات أن يغطوا ما صدر منهم بأي تأويل أو تعليل » . قلت : وهذا من مكابرة هذا المتعصب الجائر وانكاره للحقائق ، فهو يسمي البيان والتوضيح الذي طبعه الناشر في مقدمة الطبعة الثانية تغطية ! ولو شئنا أن نعامله بمثل عمله هذا لقلنا ان تأليفه لرسالته هذه « كلمات في كشف أباطيل وافتراءات » انما هو تغطية لاباطيله وافتراءاته وتدجيله على الناس وكفى ، ولما أضعنا وقتا عزيزا علينا في الكشف عنها مقرونا بالدليل والبرهان كما هو منهج القرآن (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) . أما أبو غدة فتراه يرسل كلامه ارسالا فيما يقذف به خصمه من أباطيل وتهم دون أن يحاول دعم ذلك بالدليل . ولكنه في الحقيقة معذور عند نفسه ، لانه يعلم أنه ليس لديه اي دليل على ذلك ، ولهذا يكتفي بأن يلدغ ويصيء ؟

توضيح المقصود من الحاشية على « المختصر » وزعم بعض الحنفية في عيسى عليه السلام

وتأكيدا لذلك أنقل الى القراء الكرام نص كلمة الناشر الفاضل الاستاذ زهير الشاويش ــ جزاه الله خيرا ــ في مقدمة الطبعة الثانية ، بعد ان أشار الى تعليقي الذي استغله المتعصب الجائر فقال :

« وكان الاقتصار في التعليق على ما رآه المحقق كافيا ، غير ان ذوي الاغراض استغلوا ذاك التعليق أسوأ استغلال . وحجة المحقق فيه هي الرد على المتعصبة الذين ضاهوا بكلامهم وتعصبهم لامامهم ومذهبهم قول الضالين الذين زعموا بأن سيدنا رسول الله عيسى ابن مريم عليه السلام يجيء مؤيداً لما هم عليه من كفر بالله وبعيسى وأمه البتول . والواقع ان قول المحقق كان ردا على ما جاء من رسائل وفتاوى واقوال تزعم بأن سيدنا عيسى عليه السلام سوف يحكم بالمذهب الحنفي عندما ينزل في آخر الزمن ، مستدلين على ذلك بقصة حلم سخيف رواها مجهول يقول ببقاء أقوال مذهبه محفوظة في صندوق في نهر جيحون وفيه ما علمه أبو حنيفة للخضر . وقبل أن ينزل عيسى يرفع القرآن والعلم ، فيذهب عيسى الى النهر حائراً يطلب العلم من النهر ، فتخرج له يد فيها صندوق العلم الذي أودعه الخضر النهر مما تعلمه من الامام أبو حنيفة عليه رحمة الله » .

هذا هو الذي رد عليه المحقق بسطر واحد موجز ، يعرف مدلوله أهل العلم ، ظنا منه بأن هذا الرد يكون عونا لهم علي الاستدلال بحديث النبي صلى الله عليه وسلم : « كيف انتم اذا نزل ... » فذكر الحديث ـ والتعليق المتقدم عليه . ثم قال الاخ ناشر الطبعة الثانية :

وممن روى قصة النهر والخضر وأبي حنيفة الامام الحصكفي وهو من كبار رجال مذهب الامام أبي حنيفة رحمه الله في مقدمة كتابه المشهور (الدر المختار) الذي جعلت عليه حاشية ابن عابدين أعظم كتب الاحناف في العصور المتأخرة ، بل هي من اهم المراجع للفقه الاسلامي كله .

وقد تجنب المحقق ذكر القصة بالتفصيل ، لأن تتبع

سقطات العلماء مما نهينا عنه ، واكتفى بـرد الفرية عند من كان يعرفها ، وبذلك حال بين اشاعة مـا يدل على الاعتماد بالعقائد والاحكام على الاحـلام والاقوال غير الصحيحة مما يفعله البعض، فلو أدرك ذلك الذين استغلوا التعليق، وعملوا بموجبه لكان خيرا لهم » .

سادسا : قال عقب ما سبق :

« وقد أفاد قولهم هذا : « أن الفقـه الحنفي ونحوه » ليس من شرعنا وليس مـن الكتاب والسنة . فأقول : هـذا تكرار لقوله المتقدم : « وأخرجوها عن دائـرة شرعنا . . . » وقد سبق بيان ما فيه من الكذب والتضليل والصواب الذي نعتقده حول المذاهب وهل يقال هي من الشرع مطلقا أم لا فلا داعي للاعادة .

سؤال الى « ابو غدة » فهـل يجيب ؟

ولكنـي اريـد أن أسأل هـذا المتعصب الـذي يحاول أن يصطاد في المـاء العكر : مفهوم كلامـك هـذا . . . ـ ومفاهيم الكتب معتبـرة عنـد الحنفيـة ـ أن الفقـه الحنفي هو كله من الكتاب والسنة فهل تقول بهـذا ؟! فان أجبت بالنفي فقد صرت الى قولي فما الذي تنكره علي ؟!

وان اجبت بالايجاب ، فقـد كشفت عـن ضلالـك وتناقضك !

أما الضلال ، فهو أن في المذهب الحنفـي ـ كغيره من المذاهب ـ كثيرا من المسائل المخالفة لادلـة الكتاب والسنة كما سبق بيانه ودعمه بكلام ابن دقيق العيد ، فاذا قلت : انها من الكتاب والسنة فقد نسبت الاختلاف والتناقض والخطأ الى الشريعة والله عز وجل يقول (ولو كان مـن عند غير الله

يوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وليس وراء ذلك الضلال ضلال . وأما التناقض فهو أنك اعترفت في « كلماتك » (ص ٤٤) بأن في « كل مذهب الفروع الشواذ مما لا يعمل به » . فكيف يقال : ان الفقه الحنفي كله من شرعنا وفيه الشواذ التي لا يعمل بها ؟! فهل ينطق بمثل هذا الا مغفل لا يدري ما يخرج من فيه ، ثم هو لا يكتفي بهذه الحماقة حتى يضم اليها أخرى فينكر على من ينكر أن يكون كل ما في الفقه الحنفي من الشرع الأسلامي !

أقول هذا . وأنا لا استبعد على مثل هذا الانوك (١) ان يجمع بين النقيضين في ذهنه ، فهو تارة يتكلم بما هو الصواب كمثل اعترافه بوجود فروع شواذ في المذهب الحنفي لا يعمل بها ، وتارة يقول بما يذكرنا بالضلالة الكبرى التي تقول : « كل مجتهد مصيب » وأن المذاهب على ما بينها من اختلاف واسع كشرائع متعددة لا حرج على المسلم أن يأخذ من أيها ما شاء ويدع ما شاء اذ الكل شرع (٢) فانه علق على قول الشيخ القاري في « فتح باب العناية » (٢٦١/١) :

« ويصلي على ثوب بطانته نجسة عند محمد ، وعند أبي يوسف لا يجوز » . ثم نقل عن حاشية ابن عابدين أنه قال : وظاهر « البدائع » ترجيح قول محمد ، وهو الاشبه ورجح في « الحاشية » قول « أبي يوسف » قال أبو غدة :

« فالقولان مرجحان يسوغ العمل بكل منهما » !

أليس هذا يدل على أن أبا غدة يرى ان الاقوال

---

١ ـ هو الاحمق .

٢ ـ انظر « صفة الصلاة » ص ٤٤ ـ ٤٩ .

المتناقضة ـ وما أكثرها في مذهبه ـ كلهـا شرع يجوز العمل بما شئت منها ؟ وقد يقول قائل : لعل هذا خاص بما كان من الاختلاف في المذهب الحنفي فقط ! فأقول : كلا ، فقد رأيته رجح مذهب الامام مالـك في جـواز قـراءة القرآن ومس المصحف للحائض والنفساء للتعلم والتعليم وجـواز قراءة الجنب ما الشأن أن يتعوذ به كآية الكرسي وسورة الاخلاص وسورتي المعوذتين عند خوف أو نـوم ... الخ مـا صرح بتجويزه خلافا لمذهبه الحنفي الذي لا يجيـز ذلـك . وختم كلامه بقوله :

« وفي هذا مـن سماحة الاسلام ورحابتـه بتيسير المحافظة على أداء الاوراد المطلوبة من المؤمن قراءتها عند نومه ولو كان جنبا أو حائضا أو نفساء » (١) .

فأقول : ولكنْ في مذهبك الحنفي ـ الـذي تدين اللـه به ـ خلاف ما ذكرت من السماحة والتيسير وهو باعترافك (ص ٤٠) ليس شيئا غير الشريعة الاسلامية التي هي الكتاب والسنة فهل الأسلام عندك دينان ، أحدهما يسر ، والآخـر عسر ؟! فاعتبروا يا أولي الابصار .

والآن وبعد هذا البيان وقبل الانتقال الى الرد عليه في

---

١ ـ من تعليقه على « فتح باب العناية » (٢١٨/١) واقول : لـو ان احدا من السلفيين اختار مثل هذا القول المخالف لمذهبه لصاح ابو غـدة وانتفخت اوداجه حمية لمذهبه وطعنا في انصار السنـة لاجتهادهـم ومخالفتهم لمذهبهم، وقد ذكرنا فيما سبق طعنه في خطبة الجمعة فيهم لمثل هذه المخالفة ، واما هو اذا اجتهد فخالف فيجوز . اذن يجوز له مـا لا يجوز لغيره اليس هذا مما يؤكد وصفنا السابق اياه بانه يـزن بميزانين ويكيل بكيلين ؟

آخر ما تلفظ به من الزور والجهل أريد أن أسأل المتعصب الجائر عن رأيه فيما يأتي :

١ ـ نحن نعتقد أن عيسى حين ينزل يحكم بالكتاب والسنة ، وليس بمذهب من المذاهب الاربعة ، فهل تعتقد انت ذلك معنا ، أم تعتقد العكس الذي رددنا عليه في تعليقنا الموجز ؟

٢ ـ نحن نعتقد ان في كل مذهب من المذاهب صوابا وخطأ ، وليس هناك مذهب معصوم عن الخطأ ، فهل تعتقد أنت هذا معنا ، أم تقول :

مذهبك الحنفي صواب كله ، ومذهب غيرك خطأ كله ، فان قلت في كل من السؤالين بما يوافق ما عندما . فقد ظهر للقراء أن ردك علينا انما هو مجادلة بالباطل واصطياد في الماء العكر حقدا وحسدا وتقربا الى العامة الذين يظنون يتمدد وفي كل ذلك يقولون : « وكلهم من رسول الله ملتمس » . وان كان جوابك على خلاف اعتقادنا ، فأنت حينئذ مع ضلالك متناقض كما سبق بيانه . فنسأل الله الهداية الى الحق والخلق الكريم !

وأزيد الآن فأقول : قال أبو غدة في تعليقه على « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » (ص ٥٨) :

« وقال العلامة الآلوسي في تفسيره :

« ثم أن عيسى عليه السلام حين ينزل باق على نبوته السابقة لم يعزل عنها بحال ، لكنه لا يتعبد بهـا لنسخها في حقه وحق غيره . وتكليفه بأحكام هذه الشريعة أصلا وفرعا ، فلا يكون اليه عليه السلام وحي ولا نصب أحكام ، بل يكون

خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاكما من حكام ملته بين أمته بما علم في السماء قبل نزوله من شريعته عليه الصلاة والسلام كما في بعض الآثار » .

نقل هذا أبو غدة وأقره ولم يتعقبه بشيء مما يدل بمجموعه على أنه قد ارتضاه لنفسه مذهبا ، وعليه أليس معنى ذلك أن عيسى عليه الصلاة والسلام لا يحكم بالمذهب الحنفي ولا بغيره ، وانما يحكم بالكتاب والسنة ، فما الذي تنقمه منا أشل الله يدك وقطع لسانك ؟!

سابعا واخيرا : قال فض فوه (ص ٤٣) :

« وقد وزعوا سمومهم وطعونهم في الائمة المتبوعين في كتب متعددة . لتؤدي الغاية التي يبتغون ، ودون أن تنكشف خبيئة نفوسهم التي يضمرونها ويتظاهرون معها بالغيرة على الكتاب والسنة ، فقد قالوا في كتاب «حجاب المرأة المسلمة» (ص ٦١) ما يلي :

وقد أغرب الشافعية فقالوا : أما لو ستر اللون ــ أي العورة في الصلاة ــ (١) ووصف [حجم] الاعضاء فلا بأس كما لو لبس سروالا ضيقا » .

قالوا : ويستحب أن تصلي المرأة في قميص سابغ وخمار وتتخذ جلبابا كثيفا فوق ثيابها ليتجافى عنها ، ولا يتبين حجم أعضائها ، ذكره الرافعي في شرحه (٩٢/٤ ، ١٠٥ بشرح المهذب) انتهى كلامهم . ثم علقوا عليه بقولهم بالحرف الواحد :

---

١ ــ هذه الزيادة من ابي غدة للبيان والتفسير ، والصواب ان يقول : « اي لون العورة في الصلاة » .

« قلت : فعلى رأيهم هـذا ، يجـوز للمرأة اليـوم ان تخرج لابسة هذه الثياب الضيقة التـي تلتصق بالجسم ، وتصفه وصفا دقيقا ، حتى ليخال مـن كان بعيدا عنها أنها عارية ! كهذه الجوارب اللحمية التـي تصف حجم الساقين والفخذين وتزيدهما جمالا ، بـل التبان الذي يصف العضو نفسه !

لو أن امرأة لبست مثل هذا اللباس جـاز لهـا ذلـك عندهم لانها سترت اللون به ، ولو أعطت المرأة لونا أجمل من لونها الطبيعي ! فهل يقول بجواز هذا اليوم مسلم ؟! فهـذا من الادلة الكثيرة على وجوب الاجتهاد وترك التقليد ، فهـل من مدكر ؟! » انتهى كلامهم بالحرف » .

أقول : هكذا استدل هذا المتعصب الجائر الحاقـد الانوك بهذه الكلمات التي نقلها عني على ما زعمه من الطعن في الائمة المتبوعين ... الـخ كلامه الـذي قدمه بين يديهـا (شنشـنة نعرفها من أخزم) والمتأمل في صنيعه هذا لا يمكن أن يفهم منه الا أحد امرين :

الاول : أنه لا يوافقني على ما ذهبت اليه مـن وجوب كون الثوب الساتر للعورة فضفاضا واسعا غير ضيق بحيث يحجم العورة ، ويرى تقليدا منه للشافعية أنـه لا بأس مـن لبس السروال الضيق ، وبالتالي يرى مـا الزمتهم بـه من تجويز هذه الثياب الضيقة التي تلتصق بالجسم ، وتصفه .. الخ لانها سترت اللون ، وهذا ما لا أظنه يذهب أليه ان كان قد بقي لديه ذرة من عقل ودين ! فان كان هـذا الذي يعنيه فليفصح به لنرد عليه من مذهبه، ان كان ما يترتب من المفاسد والفتنة من لبس هـذه الثياب الضيقـة لا يقنعه بخطئه ،

وصواب ما ذهبت اليه ، فقد جاء في « باب الحظر والاباحة » من حاشية ابن عابدين (٥/٢٤٢) بعد نقل بعض النقول عن علماء الحنفية حول الثياب الضيقة :

« وعلى هذا لا يحل النظر الى عورة غيره فوق ثوب ملتزق بها يصف حجمها » .

ظنه ان التخطئة ظنه في المخطىء والرد عليه بأقوال العلماء

والآخر : أنه يوافقني على ذلك ، ولكنه لا يرى من الصواب الصدع بتخطئة الشافعية في قولهم بعدم الوجوب او يرى أن التخطئة معناها الطعن في المخالفين ، فان كان هذا هو الذي يعنيه ــ وهو الذي يترجح لدي ــ فهذا من بالغ جهله ، او من تورعه البارد ، فانا لتخطئة لا تستلزم الطعن في المخطىء عن اجتهاد الا عند الجهال ، لان المخطىء له أجر واحد كما صرح الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولمثل قوله تعالى (ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) .

فكيف يتصور أن يجتمع في ذهن المسلم اعتقادان متباينان في آن واحد ، المخطىء ، مأجور ومطعون فيه ؟! ومن أبواب الحافظ ابن عبد البر في كتابه « جامع بيان العلم وفضله » :

« باب ذكر الدليل في أقاويل السلف على أن الاختلاف خطأ وصواب يلزم طلب الحجة عنده ، وذكر بعض ما خطأ فيه بعضهم بعضا ، وانكره بعضهم على بعض عند اختلافهم » .

وها أنا أنقل للقارىء الكريم بعض النصوص التي ساقها الحافظ في الباب المذكور ، مختصرا للاسانيد لتبين له منزلة هذا الطاعن الجائر من العلم بأقوال العلماء

ومذاهبهم ، وان تظاهر بالتأدب معهم لكنه تأدب بارد لا يرضونه من أحد لانه خلاف أدب السلف بعضهم مع بعض !

١ ــ عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : ان نوفا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى بني اسرائيل ! فقال : كذب !

٢ ــ وردت عائشة قول [ابن] عمر : الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، وقالت : وهم أبو عبد الرحمن او أخطأ .

٣ ــ ورفع الى علي بن أبي طالب أن شريحا قضى في رجل وجد آبقا فأخذه ثم أبق منه : أنه يضمن العبد . فقال علي : أخطأ شريح واساء القضاء ، بل يحلف بالله لأبق منه وهو لا يعلم ، وليس عليه شيء .

٤ ــ وروى وكيع عن اسماعيل بن عبد الملك قال : سألت سعيد بن جبير عن ابنة وابن عم أحدهما أخ لام؟ فقال: للابنة النصف وما بقي فلابن العم الذي ليس بأخ لام قال : وسألت عطاء ؟ فقال : أخطأ سعيد بن جبير للابنة النصف ، وما بقي بينهما نصفان .

٥ ــ وذكر عبد الرزاق عن ابن عيينة . عن اسماعيل بن ابي خالد قال : قلت للشعبي ان ابراهيم قال في الرجل يكون له الدين على الرجل الى أجل فيضع له بعضا ويعجل بعضا : انه لا بأس به ، وكرهه الحكم ؟ فقال الشعبي : أصاب الحكم وأخطأ ابراهيم .

٦ ــ وقيل لسعيد بن جبير أن الشعبي يقول : العمرة

تطوع . فقال : اخطأ الشعبي .

٧ ــ وذكر لسعيد بن المسيب : قول شريح في الكاتب، فقال : أخطأ شريح .

٨ ــ وروى همام عن قتادة أن اياس بن معاوية أجاز شهادة رجل وامرأتين في الطلاق . قال قتادة : فسئل الحسن عن ذلك فقال : لا تجوز شهادة النساء في الطلاق قال : فكتب الى عمر بن عبد العزيز بقول الحسن وقضاء اياس . فكتب عمر : اصاب الحسن وأخطأ اياس .

قال أبو عمر ابن عبد البر : هذا كثير في كتب العلماء ، وكذلك اختلاف أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم والتابعين ومن بعدهم من الخالفين ، وما رد فيه بعضهم على بعض لا يكاد يحيط به كتاب فضلا عن أن يجمع في باب ، وفي رجوع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم الى بعض ، ورد بعضهم على بعض دليل واضح على أن اختلافهم عندهم خطأ وصواب ، ولو كان الصواب في وجهين متدافعين ما خطأ السلف بعضهم بعضا في اجتهادهم وقضائهم وفتواهم ، والنظر يأبى أن يكون شيء وضده صوابا كله ، ولقد أحسن من قال :

اثبات ضدين معا في حال أقبح ما يأتي من المحال

وقال أشهب سمعت مالكا يقول : ما الحق الا واحد ، قولان مختلفان لا يكونان صوابا جميعا ، ما الحق والصواب الى حتفه بظلفه .

قال أبو عمر : الاختلاف ليس بحجة عند أحد علمته من فقهاء الامة الا من لا بصر له ولا معرفة عنده ، ولا حجة في قوله .

قلت : ومستند تخطئة الصحابة ومن بعدهم بعضهم لبعض ، بدون أي تحرج انما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الذي سن لهم ذلك ، فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر الصديق بعد أن عبر رؤيا لرجل :

« أصبت بعضا ، وأخطأ بعضا » .

ولم يكن لمثل هذه التخطئة أي أثر سيء في قلوبهم ، لسلامتها أولا من الضغينة وسوء الظن ، ولعلمهم ثانيا أنها لا تستلزم شيئا من الطعن الذي لا يليق بحق مسلم بخلاف هؤلاء المتعصبة الذين امتلأت قلوبهم بالبغض والحقد على أهل السنة وسوء الظن بهم فما يكاد السني ينطق بكلمة الحق نصحا وتذكيرا وتعليما الا سارع أعداء السنة بحقدهم وسوء ظنهم الى تفسيرها بنقيضها ، وعلى هذا جرى أبو غدة في « كلماته » ، (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .

ومما سبق تعلم أن أبا غدة قد رجع خاسرا خائبا بهذا السهم الاخير الذي وجهه الي ، شأنه فيه شأنه في كل السهام والطعون التي سبق الكشف عنها وتسديدها اليه . وهكذا شأن كل باغ معتد أثيم يظن أنه بمكره وكيده انما يضر غيره وينفث فيه سمه والحقيقة انه بذلك كمن يسعى الى حتفه بظلفه .

أسأل الله تعالى أن يؤدبنا بآداب الاسلام ، ويخلقنا بأخلاق المؤمنين المخلصين الصادقين ، الذين طهر الله قلوبهم

من الحقد والحسد والنفاق والشقاق وسوء الاخلاق . انه خير مسؤول .

وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا اله الا أنت ، استغفرك وأتوب اليك .

دمشق / ١٨ ربيع الثاني ١٣٩٥

وكتبه
محمد ناصر الدين الالباني

للمؤلف

دفاع عن الحديث النبوي والسيرة

في

الرد على جهالات الدكتور البوطي في كتابه

« فقه السيرة »

و

نقد

« نصوص حديثية في الثقافة العامة

جمع وتصنيف

محمد المنتصر الكتاني »